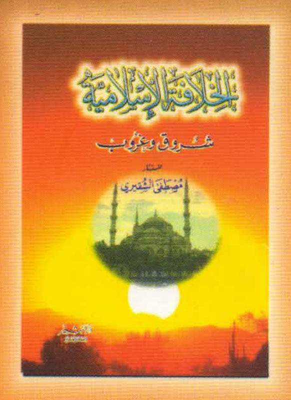
الخلافة الإسلامية

شروق وغروب

المستشار

مصطفى الشقيري





كانت الخلافة الإسلامية التاج الذى يزين مفرق الأمة الإسلامية والعقد الذى ينظم حباتها والحامى والراعى الأمين لحماها .

كانت الخلافة الإسلامية غصة فى حلوق الأمم الأوروبية وقذى فى عيونهم وشوكة فى ظهورهم فما قامت لهم قائمة ولا ارتفع لهم صوت ولا خفق لهم علم ولا ارتفعت لهم راية إلا بعد القضاء المادى على دولة الخلافة وإزالتها من الوجود ويحاولون إزالتها معنوياً من الأفئدة والنفوس.

إن دول العالم الإسلامى لازالت تلعق مرارة القضاء على الخلاقة العثمانية وتجنى ثمارها فلقد تمزق الكيان الكبيز إلى دويلات وإمارات وممالك لا وزن لها فى السياسة الدولية إنما تبعية تامة وكاملة للدول الأمريكية والأوروبية فأصبحت الأمة الإسلامية تابعة بعد أن كانت متبوعة.

ومن أجل إيقاظ همم المسلمين بعامة والعرب بخاصة كان هذا الكتاب نفثة مصدور وأنَّة مكلوم يحاول فيه المؤلف أن يتمم ما بدأه غيره ويبدأ من حيث انتهى غيره .

الناشر





الادارة : طنطا - 23 ش. الجيش عمارة الشرق للتأمين
المكتبة : طنطا - 32 ش. الحلو تقاطع حسن رضوان
تليفاكس: 040/3305538 - تليفون: 040/3316316
E-mail: darelbasheer@hotmail.com



شروق وغروب

المستشار

مُصطفى الشقيري

دار البشير

للثقافة والعلوم

دار البشير
للثقافة والعلوم

إسم الكتـــاب : الخلافة الإسلامية شروق وغروب
التـــــأليف : مصطفى الشقيرى
الصف التصويرى : الندى للتجهيزات الفنية .
عدد الصفحات : 144 صفحة .
قياس الصفحة : 17 × 24
عدد الطبعات : الطبعة الأولى .
التوزيع والنشر : دار البشير للثقافة والعلوم .
طنطا - 23 ش الجيش عمارة الشرق للتأمين
تليفاكس3305538/ تليفون 040/3316316
Dar elbasheer@hotmail.com

الإيداع القانونى : 2005/22422
الترقيم الدولى : I. S . B. N . 977 - 278 - 306-1

1427 هـ
2006 م

الإهداء

• **إلـــى** ..زوجـــــتى

وأولادى الذين أعـــانونـى

علـى إخـــراج هذا البـــحث

وأخص بالذكـر والثناء ابنتى آلاء

• **إلـــى** .. كل المسلمين المشـــتـــتين

الحـيـارى التـائهين فى كل بقـاع

الأرض جـــــمع . . بـيـنـهـم

الإسلام . وفرقتهم العصبيات

والقوميات .

❋ بسم الله الرحمن الرحيم ❋

بسم الله الرحمن الرحيم



كانت الخلافة الإسلامية التاج الذى يزين مفرق الأمة الإسلامية والعقد الذى ينظم حباتها والحامى والراعى الأمين لحماها .

كانت الراية التى التفت حولها شعوب المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها فى شمالها وجنوبها ويفتدونها بكل عزيز وغالى .

فهى موئل مجدهم ومعقد عزهم ومصدر قوتهم وعزتهم .

كانت السيف البتار يحصد رقاب الباغين ويرد كيد المعتدين فى نحورهم لتبقى الأمة الإسلامية عزيزة كريمة .

كانت الأم الرؤوم الحاضنة للإسلام والمسلمين أينما وجدوا دون التمييز بين عرق وجنس وقوم .

ذابت الأعراق والجنسيات والقوميات ليبقى الإسلام وحده الرابطة التى تشد المسلمين بحبل الله المتين .

كانت الخلافة الإسلامية غصة فى حلوق الأمم الأوروبية وقذى فى عيونهم وشوكة فى ظهورهم فما قامت لهم قائمة ولا ارتفع لهم صوت ولا خفق لهم علم ولا ارتفعت لهم راية إلا بعد القضاء المادى على دولة الخلافة وإزالتها من الوجود ويحاولون إزالتها معنوياً من الأفئدة والنفوس فمناهج التعليم التى تدرس فى جميع المؤسسات التعليمية تصور الحكم العثمانى الذى آلت إليه مقاليد الخلافة الإسلامية على أنه احتلال تركى مثل الاستعمار الأوروبى للبلاد الإسلامية سواءً بسواء فينشأ الشباب المسلم كما تريده أوروبا والحقيقة أن الخلافة الإسلامية ممثلة فى حكم آل عثمان مَعْلَمٌ من معالم الدين الإسلامى ولا يمارى فى ذلك إلا ناقص الإيمان شوه الفكر الغربى عقله ومعتقده فالذى يطالب بوحدة المسلمين فى خلافة إسلامية كاملة أو ناقصة هو إرهابى ورجعى يدعو إلى فكر متخلف وقوائم الاتهام أعدت سلفاً لكل من يجاهر بعودة الخلافة الإسلامية فى شكل من الأشكال سواء فى صورة وحدة

إسلامية تجمع المسلمين أوأى صورة من صور الاتحاد المتعارف عليها فى القانون الدستورى، وكلنا يذكر حينما دعا الملك فيصل المغفور له بإذن الله إلى تكوين (حلف إسلامى) يضم الدول الإسلامية كخطوة على طريق الوحدة الإسلامية فلقد انطلقت ألسنة الزعماء القوميين من حكام العرب بالهجوم على هذا الحاكم المسلم لأنهم يريدون أن يُخمد صوت الإسلام وتنكس رايته ليعلو صوت القومية العربية وترتفع راياتها بدلاً من صوت الإسلام لكن الله أراد أمراً حيث كانت شعاراتهم الزائفة نكبة على العرب والمسلمين فزالت وزالوا ليبقى صوت الإسلام الصارخ يعلو ويرتفع وإن حاولت قوى البغى الأوروبية ومن نحا نحوهم وسار على دربهم وسلك طريقهم أن تُسْكِتَ صوت الحق.

إنه وإن كان صوت الحق خافتا إلا أنه موجود بإذن الله ومحفوظ بأمر الله وحده لا بهوى ملك أورئيس أو أمير ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر:9] سوف يعلو ويرتفع هذا الصوت الخافت ليعلن للدنيا كلها أن الإسلام باق وحراسه الساهرون والمرابطون على ثغوره باقون بأمر الله وحده وبقوته، فمن ذا الذى يقف أمام قدرته ومن ذا الذى يتحدى قوته؟!.

وقف قديماً أبو جهل وأبو لهب وغيرهم من صناديد الكفر والضلال أمام دعوة الله ومنهجه فى الحياة فطمروا فى مزبلة التاريخ فلا يذكر اسمهم إلا وانطلقت الأصوات تلعنهم ولا يذكر اسم بلال وسمية إلا ذكرهم المسلمون ودعوا لهم بالمغفرة والرضوان.

وإن كانت الطواغيت قديماً متمثلة فى أشخاص فحسب لكنها الآن فى أشخاص ودول وجيوش مدججة بالسلاح والعدة والعتاد وبما هو أخطر من ذلك وأشد فتكاً وأمضى من السيف ألاو هو سموم الفكر .

تزول الخلافة الإسلامية التى كانت تجمع العالم الإسلامى تحت راية واحدة وهدف واحد بدعوى التخلص من الاستعمار التركى والاستبداد التركى تنعق بهذه الشعارات أصوات وتنشر هذه السموم أقلام على صحف هى إلى صوت الشيطان أقرب منها إلى الإيمان وإن تدثرت بدثاره ورفعت شعاره.

فيصور طاغوت العصر اليهودى الأفاك لعنة الله عليه مصطفى كمال أتاتورك على أنه بطل الأبطال وزين الرجال ومنقذ الأجيال ويصور خلفاء المسلمين من آل عثمان على أنهم مستغلين للإسلام مستبدين غارقين فى الشهوات والملذات « إن الهجمة الشرسة على العثمانيين وتاريخهم لا يقصد بها سوى الإسلام ووحدة العالم الإسلامى » .

إن دول العالم الإسلامى لازالت تلعق مرارة القضاء على الخلاقة العثمانية وتجنى ثمارها فلقد تمزق الكيان الكبير إلى دويلات وإمارات وممالك لا وزن لها فى السياسة الدولية إنما تبعية تامة وكاملة للدول الأمريكية والأوروبية فأصبحت الأمة الإسلامية تابعة بعد أن كانت متبوعة .

كانت الدولة الإسلامية الواحدة مرهوبة الجانب تعمل لها الدول الأوروبية ألف حساب وحساب فكان صوت الإسلام مسموعاً وقوياً ممثلاً فى الدولة العثمانية كان صوت الباب العالى أقوى من صوت البيت الأبيض والكريملن وقصر باكنجهام فى السياسة الدولية .

كان يوم الثالث من مارس 1924م أسوأ يوم فى تاريخ الإسلام ، فلقد استيقظ العالم الإسلامى على أكبر فاجعة نزلت به وأخذ يمسح عينيه ويفتح أذنيه وهو غير مصدق ما يرى ويسمع ويتساءل : أصحيح أن دولة الخلافة الإسلامية التى كانت درع الإسلام والمسلمين الواقى ورمز العظمة والعزة قد زالت من الوجود ؟ أصحيح أنه لم يبق للإسلام والمسلمين دولة وحكومة؟ إنها والله لأكبر نائبة وأعظم داهية .

وفى الوقت الذى استيقظ المسلمون على هذا الكابوس المزعج استيقظ العالم المسيحى على ألذ حلم حلموا به وأعظم أمنية تمنوها وأغلى غايه سعوا إليها وبذلوا فى سبيلها كل ثمين وأعنى بذلك زوال دولة الخلافة ولم يخف قواد المعركة فى الحرب العالمية الأولى عقب انتصارهم على الأتراك شعورهم الخسيس وحقدهم الدفين على الإسلام والمسلمين .

فقال الجنرال اللنبى القائد الإنجليزى حين دخل القدس : الآن انتهت الحروب

الصليبية ووقف الجنرال جورو القائد الفرنسى على قبر صلاح الدين فى دمشق وقال: « ها قد عدنا يا صلاح الدين» وقد كانت هذه التصريحات سياطاً لاذعاً على جلود الزعماء العرب الذين خدعوا بأقوال الغربيين ووعودهم وظنوهم سيحققون لهم امبراطوربة عربية مستقلة عاصمتها مكة وملكها الشريف حسين بن على وإذا بهم قد أصبحوا مستعمرين لهؤلاء الذين ظنوهم أصدقاء وأصبحوا أضيع من الأيتام على موائد اللئام.

وبينما كان العالم الغربى يقيم الأفراح احتفاءً بهذا النصر كان العالم الإسلامى من حدود الصين إلى حدود الأطلسى فى مأتم صامت يبكى عزا ضائعاً وملكاً مسلوباً وكرامة مهدورة وجناحاً مهيضاً وذلاً وانكساراً وينظر إلى السماء يلتمس الفرج ويستدر الرحمة و يشتكى ويتوجع كما قال أحمد شوقى :

الهند والهة ومصر حزينة

تبكى عليك بمدمع سحاح

والشام تسأل والعراق وفارس

أمحا من الأرض الخلافة ماح؟! (1)

ولما بدأت شمس الاستعمار تغرب ونجمه يأفل وبدأت الدول الإسلامية تتحرر كانت الدول المستعمرة قد زرعت وغرست فكرة إحياء القوميات لتحل محل الرابطة الإسلامية ونجحت فى ذلك فظهرت فكرة القومية العربية ومثل ذلك فى سائر الأقطار الإسلامية فبرزت إلى الوجود قوميات ونزعات عرقية وغدا العالم الإسلامى الكبير كيانات صغيرة لا وزن لها فى المجتمع الدولى وإذا نطقت لا يسمع لها وإذا أشارت برأى يسفه رأيها وأصبحت كما قال الشاعر العربى القديم:

ويقضى الأمر حين تغيب تيم

ولا يستأذنون وهم شهود

---

(1) تاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد صـ 726 .

من أجل إيقاظ همم المسلمين بعامة والعرب بخاصة أكتب هذا البحث غير هياب ولا وجل .

كان أمر الخلافة الإسلامية يراودني منذ صباى وكان حبى للإسلام والمسلمين الضائعين فى كل مكان يزداد عاماً بعد عام فلما أعجم عودي واشتد ساعدى وقويت همتى وصحت عزيمتى سألت نفسى لمَ يقبل المسلمون العيش فى ظل هذه الغثائية الضاربة أطنابها وفى سائر المجتمعات الإسلامية؟ غثائية فى الفهم ، غثائية فى الفكر ، غثائية فى الفعل .

كما قال النبى ﷺ .

نمت فكرة هذا البحث وكانت الأحداث التى تتعاقب على العالم الإسلامى تغذى هذه الفكرة وهذا السؤال الآنف الذكر غدا العالم الإسلامى مسرحاً لرواية لم تتم فصولها ولن تتم بأمر الله إلا بنصر مؤزر للإسلام والمسلمين .

حسبت أن القضاء على الخلافة وإلغائها من المنظومة الدولية هو آخر المطاف ونهاية الرواية ، لكن أعداء الإسلام والمسلمين لم يكتفوا بذلك فقد شربوا كأس الحقد والضغينة على الإسلام حتى الثمالة فلما شاهدوا بوادر صحوة إسلامية راشدة فى كل بقعة من أرض المسلمين فقعدوا لها كل مرصد واقتفوا أثرها ليجهضوا عليها وهى جنين .

فما أشبه الليلة بالبارحة والأمس باليوم فبالأمس كان أمر الخلافة العثمانية يقض مضجعهم فلما خلص لهم ما أرادوه وتم لهم ما تمنوه بدأت مرحلة جديدة كى يبقى العالم الإسلامى ممزقاً ضائعاً لا يسعى إلى المجد والعزة بل ولا يفكر فى ذلك وإلا طالته عصا الغرب الغليظة وعاجلته بضربة فما أن يفيق منها حتى عاودته بأخرى والواقع المرير يتحدث عن نفسه بالأمس أثناء المؤامرة على دولة الخلافة (الرجل المريض) وهو الاسم الذى كانت تطلقه القوى الصليبية عليها كما أطلقوا على هذه المؤامرة المسألة الشرقية واليوم مشروع الشرق الأوسط الكبير الذى بدأ تنفيذه بكافة الوسائل بالغزو الفعلى والتهديد لمن تسول له نفسه أن يرفع رأسه فتقطع على الفور لكى يكون عبرة للآخرين .

وحتى هؤلاء الذين خنعوا وزلوا فخنعت وزلت شعوبهم أحْكمَتْ . القبضة القوية عليهم فساروا وراء هذه الدول والسلاسل فى رقابهم .

لذلك كله وأكثر من ذلك وما فى الفؤاد كثير وكثير أكتب هذا البحث وهو نَفْثَةُ مصدور وأنَّة مكلوم ولقد سبقنى رجال هم أفضل منى فى الكتابة حول هذا الموضوع لكننى أ تم ما بدءوا وأبدأ من حيث انتهوا .

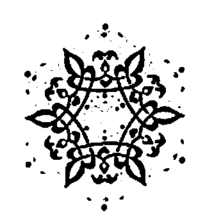
أسال الله أن يجزينى خير الجزاء

المستشار / مصطفى الشقيرى

مساء الإثنين الموافق

الثامن والعشرون من شهر رجب عام 1425هـ

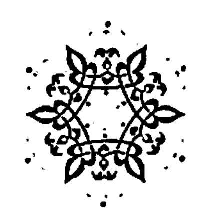
الثالث والعشرون من سبتمبر 2004 م



« الإسلام قوى لا تهضمه الجنسيةوالاستعمار ويحاول الغربيون أن يحولوا الإسلام إلى مجرد عقيدة لا شأن لها بالحكم حتى يسهل عليهم تفريق الأمم وهضم ما استعمروه منها وفناء كل من المسلمين فى جنسية من جنسياتهم وهذا هو الأمر الذى تجب مقاومته اليوم » .

« يمتاز الإسلام بأنه دين ودوله وقد أرسل النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لا لتأسيس دين فحسب بل لبناء قاعدة تتناول شئون الدنيا وهو بهذا الاعتبار مؤسس الحكومة الإسلامية كما إنه نبى المسلمين ولئن صح أن النبى ﷺ كان فى المدينة وزعيم أمة ومنشئ دولة»[1] .

عبد الرازق السنهورى



(1) مجلة المحاماة الشرعية العدد الأول السنة الأولى الدين والدولة فى الإسلام

خلافة إسلامية لا حكومة دنيية

حكم الخلافة

أسس نظام الخلافة

واقع عملى

لا حكومة ثيوقراطية فى الإسلام

الحكم المدنى والحكم الإسلامى

موقف الحكومات المدنية من الإسلام

الإخوان المسلمون والخلافة

خلافة إسلامية لا حكومة دينية

لا يوجد فى الإسلام ما يسمى بالدولة الدينية على النحو الذى كان سائداً فى أوروبا فى العصور الوسطى والذى كان يدعى فيه الملوك أنهم يستمدون سلطتهم بتفويض من الله لا الشعب وهم مسئولون أمام الله وحده عن كيفية استعمالها وعبر عن ذلك لويس الخامس عشر فى مقدمة المرسوم الذى أصدره سنة 1770م بقوله : « **إننا لم نتلق التاج من الله فسلطة عمل القوانين هى من اختصاصنا وحدنا بلا تبعية ولا شركة** » .

لم يعرف الإسلام هذا النوع سواء فى الفقه الإسلامى كنظرية أو فى الواقع العملى فى تاريخ دولة الخلافة الإسلامية فلقد عاش العالم الإسلامى ثلاثة عشر قرناً فى ظل دولة إسلامية موحدة تحمل اسم «الخلافة » منذ وفاة الرسول ﷺ فى العام الحادى عشر للهجرة إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى عندما أعلنت الجمهورية التركية إلغاء الخلافة العثمانية على يد اليهودى الضال كمال أتا تورك لعنة الله عليه .

فى هذه الحقبة كلها لم يزعم أحد من الخلفاء أنه يحكم باسم الحق الالهى أو بتفويض من الله أو أنه فوق مستوى المسئولية أو الرقابة الشعبية .

« إن هذه الدولة الموحدة تطور فيها نظام الحكم فبدأ نظاماً شوريا فى عهد الخلفاء الراشدين حيث كان يتولى الحكم فيه خلفاء تم اختيارهم بالبيعة الحرة ثم تحولت الدولة إلى نظام وراثى فى عهد الأمويين والعباسيين ثم العثمانيين إلا أن جميع هذه الدول حافظت على مبدأ الأمة الإسلامية على أساس أن تمثلها دولة موحدة عظمى تميزت باتساع رقعتها وعلو شأنها فى ميدان الحضارة وفى مجالات العلم والثقافة حتى أصبحت أعظم دولة فى العالم خلال عصور الإسلام الزاهرة .

ورغم الانحرافات التى شابت كثيراً من الحكومات فى تلك الدولة الموحدة إلا أنها جميعاً تعتز بانتمائها للإسلام والتزامها بشريعته- ولم تكن لها دساتير سوى ما قررته الشريعة والفقة - لذلك فإن دراسة نظم الحكم يرجع إلى « فقه الخلافة» فى كتب علمائنا وفتاويهم التى كانت تعتبر صور الحكم فى عهد الراشدين هى النماذج للمبادئ الإسلامية فى نطاق الحكم »[1] ولا يوجد فى الأنظمة الدستورية الحديثة ما يصون ويحمى حقوق الشعب

(1) فقه الخلافة وتطوره لتصبح عصبة أمم إسلامية . عبد الرازق السنهورى صفحة 7 .

من جور الحكام واستبدادهم مثل النظام الإسلامى بما وضعه من ضوابط وضمانات وتشريعات تنظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم فهو يعطى للأمة الحق فى تقويم الحاكم إذا انحرف ، وعزله إذا فقد صلاحيته وذلك كله على أساس أن الحاكم لا يستمد ولا يته من الله أو من رجال الدين إنما يستمد سلطانه من مبايعة الشعب له بعد توافر الشروط التى حددها الفقه الإسلامى فيمن يتولى هذا المنصب .

وطوال الفترات التى كان نظام الحكم فيها مستمداً من الإسلام فى عهد الخلافة الراشدة والتى كانت النموذج الأمثل للحكومة الإسلامية وبعد هذا العصر حدث انحراف فى الفترة التالية لهذا العهد الراشدكان الشعب يقوم بمعارضة الحكام وإسداء النصح لهم ولم يدع أحد منهم بأنه معصوم من الخطأ وفوق الرقابة الشعبية .

نخلص من كل ذلك أن التخوف الذى يبديه المفكرون العلمانيون من قيام الخلافة الإسلامية أو حتى قيام الحكم على أسس إسلامية ليس فى محله ولا يقوم على سند من المنطق أو العقل .

«إن الخلافة هى رمز لاستقلال العالم وقوته ومجده ووحدة شعوبة » .

وما دامت الوحدة الإسلامية مبدأ أساسياً من مبادئ شريعتنا فإن الخلافة يجب أن تكون هدفاً يسعى المسلمون لتحقيقه وأن يواصلوا كفاحهم من أجله لأن ذلك يعنى التحرر من السيطرة الأجنبية والنفوذ الاستعمارى الذى فرض على تركيا إلغاءها وفرض على الحكام لها أو تجاهلها صراحة أو ضمناً [1] .

ولا زالت الهيمنة الأجنبية الأوروبية والأمريكية تهدد وتلوح بالتهديد لكل من ينادى بالخلافة الإسلامية ويدعو لها واتخذت فى هذا السبيل طريقتين :

الأولى :العلمانية وتزييف التاريخ

عملت الدول الأوروبية والأمريكية على زرع المفكرين العلمانيين والتمكين لهم فى أجهزة الدول الإسلامية فى مختلف المؤسسات الإعلامية والتعليمية وقد قام هؤلاء المفكرون بدورهم الخسيس لصالح الغرب خير قيام فمناهج التعليم فى المدارس تحقر من شأن الخلافة العثمانية وتمجد من شأن الوطنية ، فضلا عن تشويه

---

(1) المرجع السابق ص 8.

التاريخ الإسلامى وتزييف الحقائق والتشكيك فى الخلفاء وتصويرهم على أنهم مولعين بشرب الخمر والنساء كما يصور قيادة الجيوش الغازية فى سبيل الله على أنهم وحوش ضارية مولعين بسفك الدماء واغتصاب الفتيات والذى يطالع الروايات التاريخية التى كتبها جورجى زيدان يرى مدى الحقد على الإسلام وتاريخه فى هذا اللون من الأدب الهابط .

الثانية: التهديد:

وقد اتخذ هذا التهديد صوراً وأشكالاً شتى :

أ- التهديد بقطع المعونات :

عن الدول الإسلامية الممزقة والتى تعيش على المعونات وهى فى الحقيقة ليست معونات إنما هى ثمنٌ لشراء الذمم والنفوس ثمنٌ للولاء والتبعية وما أفدحه من ثمن إن الشعوب الإسلامية البائسة تبيع كرامتها وعزتها رخيصة فى أسواق النخاسة العالمية نظير حبيبات منَ القمح رغم أن أرضهم لو زرعت لأغنتهم وجعلت قوتهم بأيديهم .

ولا أكون مغالياً فى القول أو مجافياً للحقيقة إذا صورت العالم الإسلامى كقطيع من البقر يسوسها « رعاة البقر» من مختلف الدول الأمريكية والأوروبية وحذار ثم حذار أن تتجاوز الأبقار حدود المرعى التى حددها الراعى المنتفخ الأوداج المفتول العضلات وإلا انهال عليها بعصاته الغليظة .

إن الشعوب الإسلامية يوم أن تتخلى عن الإسلام كنظام للحياة فى المجتمع الدولى تكون كالأنعام بل أضل سبيلاً .

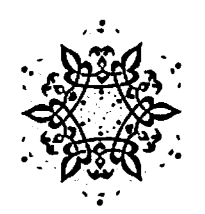
إن المسلمين اليوم أضيع من الأيتام على مائدة اللئام لقد فقدت الأمة الإسلامية إرادتها بفعل الاستبداد الذى مارسه عليها المستبدون الحمقى .

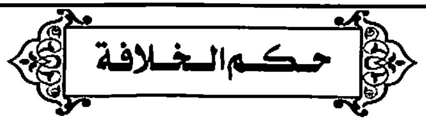
ب- التهديد بفرض العقوبات

مثلما يحدث لكل دولة إسلامية تظهر فيها بعض العناصر التى تدعو إلى الإسلام أو تبدو فيها بشائر صحوة إسلامية مثل السودان وأندونيسيا .

جـ- التهديد بالتدخل العسكرى

مثل الذى حدث مع أفغانستان التى تصدت للغزو السوفيتى الشيوعى وتأهبت لإحياء شعائر الإسلام وشرائعه فكان الغزو الأمريكى الذي فرض على ذلك البلد المسلم نظاماً يرفضه ويأباه.





حكم الخلافة

يقول الله تعالى ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: 26]

ويقول الله تعالى عن أهداف الدولة الإسلامية وغايتها ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [الحج: 41]

وتحدث الرسول ﷺ عن الخلافة والبيعة فقال: « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء وكلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدى وسيكون بعدى خلافاء فيكثرون فقالوا يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: أوفوا بيعه الأول فالأول ثم اعطوهم حقهم واسألوا الله الذى لكم فإن الله سائلهم عما استرعاهم[1].

وقال ﷺ: « **من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية** »[2].

أخرج أحمد والطبراني عن أبى أمامة الباهلى عن رسول الله ﷺ قال: « **لتنتقضن عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها أولهن نقضا الحكم وآخرها الصلاة** »[3].

وروى عن الإمام على بن أبى طالب أنه قال: « لابد للناس من إمارة برة أو فاجرة قيل له هذه البرة قد عرفناها فما بال الفاجرة ؟ قال يؤمن بها السبيل ويقام بها الحد ويجاهد بها العدو ويقسم بها الفئ ».

وقد أجمع الصحابة على وجوب الخلافة فبعد أن انتقل الرسول ﷺ وكان ذلك يوم الثلاثاء عند الزوال ولم يدفن الجثمان الطاهر الشريف إلا ليلة الأربعاء لأن الصحابة رضى الله عنهم قد شغلوا بأمر تعيين من يخلف الرسول ﷺ فقال أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه« لابد لهذا الأمر من يقوم به فانظروا وهاتوا آراءكم رحمكم الله فقالوا من كل جانب من المسجد صدقت ولم يقل أحد منهم لا حاجة بنا إلى إمام واجتمع المهاجرون يتشاورون فى شأن الخليفة فقالوا لأبى بكر: انطلق بنا

---

(1) رواه البخارى ومسلم.
(2) رواه مسلم.
(3) رواه أحمد فى السنن.

إلى إخواننا الأنصار فندخلهم فى أمر الخلافة فقال الأنصار منا أمير ومنكم أمير فقال عمر من ثبت له مثل هذه الفضائل التى لأبى بكر، قال تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:40] فأثبت صحبته بذلك وأثبت له معية كنبيه بقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ ثم مدَّ يده فبايع أبا بكر وبايعه الناس ثم أمرهم بجهاز رسول الله ﷺ (1).

وهذا الإجماع من الصحابة على مبايعة أبى بكر وتعيينه خليفة يعد مصدراً من مصادر التشريع يلتزم به المسلمون كما أن الكثير من الواجبات الشرعية يتوقف تنفيذها على وجود الدولة (الخلافة) وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ذلك لأن الشارع أمر بإقامة الحدود وسد الثغور وتجهيز الجيوش لمقاتلة من يعتدى على المسلمين أو يقف حائلاً فى طريق دعوة الإسلام وهذا يستلزم دولة تقوم به، كما أن الإسلام قد تضمن من النظم والتشريعات المتعلقة بالفرد والمجتمع مما يستوجب قيام دولة تنفذ هذه النظم والتشريعات وإلا أصبحت هذه النظم وتلك التشريعات عبثاً لا طائل منها ولا جدوى.

وجاء فى كتاب السياسة لابن تيمية: « **ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين لا قيام إلا بها فإن بنى آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض ولابد لهذا الاجتماع من رأس** ».

وجاء فى كتاب غيات الأمم « **إذا كان تجهيز الموتى من فروض الكفايات فحفظ مهج الأحياء وتدارك حشاشة الفقراء أتم وأهم** ».

إن الإسلام لابد له من حكومة تقيمه وتحميه فالحكومة الإسلامية ضرورة من أجل حفظ العقيدة وحياتها من عبث العابثين وخروج المارقين وذندقة الزنادقة والحكومة ضرورة من أجل إقامة الصلوات فالكسالى عن الصلاة يؤدبون والممتنعو ن عن الزكاة يعزرون وتاركوا الصيام يعاقبون وضرورة لحفظ الأرواح والأعراف وإقامة الجهاد وتربية المسلمين على الإسلام وإقامة أنظمة الإسلام السياسية والأقتصادية ،والثقافية وضرورة لتكون كلمة الله هى العليا ولحماية إسلام المسلم

(1) تحفة المريد على شرح جوهرة التوحيد لشيخ الإسلام إبراهيم البيحورى كان مقرراً على طلاب الثانوية الأزهرية .

فالمسلم فى ظل حكومة غير إسلامية معرض إسلامه للخطر ومضطر للطاعة حتى فى معصية الله وخير شاهد على ذلك أحوال المسلمين فى ظل الحكومات الشيوعية والصليبية فأولادهم يجبرون على تعلم الإلحاد والشيوعية ويضيق عليهم فى العبادات مثلما يحدث الآن فى فرنسا من منعها للمسلمات من إرتداء الحجاب وكثيراً يمنع المسلمون من ممارسة شعائر دينهم فى أمور الزواج وغير ذلك إذا تعارضت مع نظام الحكومة»[1].

إن الخلافة الإسلامية أمر واجب وحتمى وضرورة شرعية.

فمن للمسلمين المضطهدين والمستضعفين فى كل بقعة من بقاع الأرض تنتهك حرماتهم وتستباح أعراضهم وتسفك دماؤهم ويشردون بالآلاف فى كوسوفا والفلبين وبلغاريا والبوسنة والهرسك، من يحميهم غير دولة إسلامية اتخذت الإسلام لها شعاراً ودثاراً ومنهجاً للحياة.

إنه وإن كان الحكم ليس ركناً من أركان الإسلام إلا أنه أمر واجب وفرض من فروض الكفايات التى إذا قام بها البعض سقطت عن الباقين وإن لم يقم بها أحد أثم الجميع ومن ثم فلا يسوغ التذرع بكون الحكم ليس من أركان الدين الإسلامى كوسيلة لإهداره والتهوين من شأنه و حتمية قيامه.

وهل البناء يقوم بالأركان والدعائم فحسب ؟

أم هناك أمور أخرى لازمة وضرورة لاتمام البناء وكماله وهل الإسلام لا يلزمنا بشىء سوى الأركان؟ فهناك أموراً كثيرة ألزمنا بها الإسلام كحرمة القتل والزنا وشرب الخمر والسرقة وغير ذلك ومن استحل هذه الأمور واعتقد عدم حرمتها فقد كفر رغم كونها ليست ركناً من أركان الإسلام.

يقول الماوردى « **الخلافة موضوعة لخلافة النبوة. موضوعة لحراسة الدين والدنيا وهى نظام واجب بالاجماع وأول اختصاص الخليفة حفظ الشرع فتعيين الأمام واجب على الجماعة الإسلامية»**

---

(1) الإسلام : سعيد حوى صـ 331 وما بعدها دار الكتب العلمية بيروت، الطبقة الثانية، نقلاً عن مؤلفنا فى وجه المؤامرة على تطبيق الشريعة الإسلامية.

أسس نظام الخلافة

يقوم نظام الخلافة فى الإسلام على أساس أن الخليفة واحد توافرت فيه شروط معينة تجعله أهلاً لهذا المنصب وكفوأ لأن يتولى رقابة شئون الأمة وحراسة دينها وإقامة حدود الله ؟ وذلك ببيعة حرة، واختيار الشعب له وهو ليس معصوماً من الخطأ، ولا مفوضا من الله أن يفعل ما يشاء فمن حق الشعب أن يعزله إذا لم يقم بواجبه أو فقد صلاحيته، ومن حق الشعب أن يراقب تصرفاته وطاعته مستمدة من طاعته لله، وقيامه على شريعته، يقول رسول الله ﷺ : « **اسمعوا واطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله تعالى** » رواه البخارى وهو مسئول أمام الله والأمة قال ﷺ : « **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته** » رواه البخارى ومسلم وقال ﷺ : « **ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة** » رواه البخارى ومسلم وقال ﷺ : « **من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلَّتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة** » رواه الترمذى(1).

ويقوم نظام الحكم فى الإسلام على أساس الشورى بين الحاكم والرعيه وخاصة أهل الرأى وقد ثبتت الشورى بنص القرآن الكريم : ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ**﴾ [الشورى: 38]

﴿ **وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ** ﴾ [آل عمران: 159] وقد ثبت عن الرسول ﷺ أنه كان يشاور أصحابة كما حدث فى غزوة بدر بشأن المكان الذى ينزل فيه الجيش وبشأن الأسرى.

ويقوم نظام الحكم فى الإسلام على العدل والمساواة وقد جاءت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية تؤكد على العدل وتحث عليه حيث لا تستقيم الأمة إلا به وما قام العدل فى أمة إلا واستتب الأمن بين ربوعها ونعمت بالرخاء والاستقرار وما قام الظلم والاستبداد فى أمة من الأمم إلا وأوردها موارد الهلال، ولذا يقال أن العدل أساس الملك يقول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ**﴾ [النساء: 58]

---

(1) راجع هذا بيان للناس من الأزهر الشريف، صـ197.

﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: 8]

وقال ﷺ « **إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة أقربهم منى مجلساً إمام عادل ، وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم عذابا إمام جائر** »(1) .

وإذا اتصف الحاكم بتلك الصفات السالفة الذكر ، وقام حكمه على تلك القواعد التى وضعها الإسلام من حسن قيامه بالمسئولية الملقاه على عاتقه« **ورعيته لشئون المسلمين ودينا ودنيا ، بالشورى والعدل والمساواة وجبت طاعته من المحكومين** » : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء : 59] وقال ﷺ« **اسمعوا واطيعوا وإن تأمر عليكم عبد حبشى ما أقام فيكم كتاب الله تعالى** » .

والأساس الذى تقوم عليه الحكومة الإسلامية هو التزامها بشريعة الله وانبثاقها عن إرادة المسلمين ، وتنفيذها لأحكام الله وقضاؤها على نوازع الهوى المخالف لشريعة الله بصلاح أفرادها فى أنفسهم وما لم تنبثق هذه الحكومة عن إرادة المسلمين فإنها ظالمة سالبة الحق من أهله(2) .

واقع عملى

إن النص القرآنى والحديث النبوى مالم يكن لها مجال فى الواقع الاجتماعى العلمى صارت قصصا للتسلية لجذب انتباه الجماهير التى تعيش فى السفوح فتتطلع إلى القمة السامقة وترمقها ببصرها فحسب ولا تحاول الوصول إليها .

لكن نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفه خرجت من نطاق هذه الدائرة الضيقة إلى مجال الواقع العملى الملموس المشهود يراه الناس رأى العين فها هو أبو بكر الصديق ــ رضى الله تعالى عنه ــ يقول عند توليه الخلافة« **إنى قد وليت** عليكم ولست بخيركم فإن رأيتمونى على حق فأعينونى وإن رأيتمونى على باطل فسددونى » ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « **من رأى فىَّ اعوجاجا فليقومه** » فقام رجل من عامة المسلمين يقول : « **لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا** » فقال عمر « **الحمد لله الذى جعل فى رعية عمر ممن يقومه بحد سيفه** » ، وغنم المسلمون أبرادا يمانيه فخص عمر برد

---

(1) رواه الشيخان والترمذى .

(2) الإسلام لسعيد حوى صـ334 دار الكتب العلمية بيروت ط 2 نقلا عن مؤلفنا فى وجه المؤامرة على تطبيق الشريعة الإسلامية طبعة دار الوفاء .

وابنه عبد الله برد فتبرع ببرده لأبيه ليضمه إلى برده ويصنع منهما ثوبا ثم وقف عمر يخطب فى الناس وعليه هذا الثوب فقال : « واسمعوا وأطيعوا » فوقف سلمان وقال لا سمع لك ولا طاعة. قال عمر : ولم؟ قال سلمان : من أين لك بهذا الثوب؟ وقد نالك برد واحد قال لا تعجل ، ونادى : يا عبد الله . فلم يجبه أحد فكلهم عبد الله فقام عبد الله بن عمر وقال : لبيك يا أمير المؤمنين. قال : ناشدتك الله البرد التى ائتزرت به أهو بردك؟قال : اللهم نعم . قال سلمان : الأن نسمع ونطيع.

فالحاكم فى الإسلام خليفة أو إمام لا يتميز على غيره من الرعية ولا ينفرد دونهم بحق أو ميزة أواستثناءات ، فهم لا يحاكمون وفقاً لإجراءات خاصة، وأمام محاكم خاصة فى حالة ارتكابهم للجرائم، وغير ذلك مما نشاهده ونراه فى عصرنا.

ومسئولية الحاكم فى الإسلام هى التى جعلت الرسول ﷺ يهتم بشئون رعيته وينسى نفسه ، كما حدث فى توزيع مال البحرين ولم يبق لنفسه شيئاً يفطر عليه مكتفياً بالخل إداماً، وكما حرم زوجاته متعة الحياة من الخيرات التى يفيئها الله على المسلمين، فخيرهن بين المقام معه على رقة حاله وبين تسريحهن، وكما حرم ابنته فاطمة من خادم يريحها مذكراً لها بواجب أهل الصفة عليه .

إنها المسئولية التى جعلت عمر بنفسه ليبحث عن إبل الصدقة التى ضلت ويهنأ [1] المريض منها، ولايكلف غلامه بذلك، لأنه هو الذى سيسأل عنها أمام الله، ويتفقد العجائز وأسر من غاب أزواجهن، ويلتقط الأنكاس [2] من الطريق ويلقيها فى البيوت للانتفاع بها ويرد حفصة ابنته محسورة حين طلبت منه شيئاً من بيت المال مناشدة إياه حق الرحم فيقول لها : حق الرحم فى مالى لا فى مال المسلمين، ويقول : لو عثرت دابة فى طريق العراق لوجدتنى مسئولاً عنها أمام الله، لم لم أمهد لها الطريق؟» ويقول : « لو علمت أن راعياً بصنعاء له حق عندى لحملته إليه حتى أسلمه إياه، وحرم على نفسه طيبات الحياة عام المجاعة مشاركة لرعيته ». .

وكان أبو بكر رضي الله عنه : « يعيش من رزقه فى التجارة، فلما أصبح أراد أن يغدو على تجارته فأمسكه المسلمون وقالوا : إن هذا الأمر لا يصلح مع التجارة فسأل وم

---

(1) الهناء : القطران . ويهنأ بمعنى يد اوى الإبل الجرباء بأن يد هنها بالقطران .
(2) الأنكاس : الأشياء .

أعيش ؟ فترددوا فى الأمر ، ثم جعلوا له من بيت المال كفايته لقوته وقوت عياله جزاء قعوده عن التجارة واحتباسه للوظيفة ، ومع هذا فقد أوصى عندما حضرته الوفاة أن يحصى ما أخذه من بيت المال فيرد من ماله وأرضه تورعاً وتعففاً عن مال المسلمين . وكان يحلب للضعفاء ممن حوله أغنامهم ، فلما ولى الخلافة سمع جارية تقول : اليوم لا تحلب لنا منائح دارنا فقال : لعمرى لأحلبها لكم ، وكان عمر بن الخطاب فى خلافة أبى بكر يتعهد امرأة عمياء بالمدينة ويقوم بأمرها فكان إذا جاءها ألفاها قد قضيت حاجتها فترصد عمر يوماً فإذا أبو بكر هو الذى يكفيها مئونتها ، عندئذ صاح عمر حين رآه « **أنت لعمرى** » .

وخطب عمر رضي الله عنه عقب البيعة فقال : « **أيها الناس ما أنا إلا رجل منكم ، ولولا أننى كرهت أن أرد أمر خليفة رسول الله ما تقلدت أمركم** » وخطب خطبته الثانية فقال فيها : « **ولكم على أيها الناس خصال أذكرها فخذونى بها : لكم على ألا أجتبى[1] شيئاً من خراجكم ولا ما أفاء الله عليكم إلا من وجهه ، ولكم على إذا وقع فى يدى ألا يخرج منها إلا فى حقه ، ولكم على ألا ألقيكم فى المهالك ولا أُجَمِّرُكم[2] فى ثغوركم وإذا غبتم فأنا أبو عيالكم** » وكان يقول : « **إنى أنزلت مال الله منى بمنزلة مال اليتيم فإن اسغنيت عففت عنه وإن افتقرت أكلت بالمعروف** » .

« سئل يوماً عما يحل له من مال الله فقال : « **أنا أخبركم بما استحل منه ؛يحل لى حلتان : حلة فى الشتاء وحلة فى القيظ ، وما أحج عليه واعتمر من الظهر وقوتى وقوت أهلى كقوت رجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم ، ثم أنا رجل من المسلمين يصيبنى ما أصابهم** » واشتكى يوماً فوصف له العسل ، وفى بيت المال عكة [3]منه فلما كان على المنبر قال : « **إن أذنتم لى فيها وإلا فإنها على حرام** » فأذنوا له .

هذه نماذج تدل على مدى تطبيق المبدأ الذى جاء به الإسلام كقاعدة للحكم وهو مسئولية الحاكم .

أما مبدأ المساواة وعدم المحاباة فقد قام فى دنيا المسلمين واقعاً عملياً طبقة رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدون من بعده ، فلقد رفض ﷺ شفاعة أسامة فى عدم إقامة

---

(1) اجتبى الشيء : اختار الشيء لنفسه

(2) لا أجمركم : لا أحسكم عن العود إلى أهليكم .

(3) العكة : الآنية .

حد السرقة على المرأة المخزومية وقال : «إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ،وأيم الله لو أن فاطمة بيت محمد سرقت لقطعت يدها » .

وأخرج أبو يعلى عن ابن عمر قال : « رغب رسول الله ﷺ ذات يوم في الجهاد فاجتمعوا عليه حتى غموه[1] وفي يده جريدة قد نزع سلاى - شوكة- وبقيت سلاة فلم يفطن بها فقال : أخروا عنى هكذا فقد غممتمونى فأصاب النبى ﷺ بطن رجل فأدمى الرجل فخرج وهو يقول : هذا فعل نبيك فكيف بالناس ؟ فسمعه عمر فقال له انطلق إلى النبى ﷺ فإن كان هو أصابك فسوف يعطيك الحق ، وإن كنت كذبت لأرعينك بعمامتك حتى تحدث فقال الرجل انطلق بسلام فلست أريد أن أنطلق معك قال ما بوادعك[2] فانطلق به عمر حتى أتى به النبى ﷺ فقال : إن هذا يزعم أنك أصبته ودميت بطنه فما ترى؟فقال النبى ﷺ : أحق أنا أصبتك؟ قال الرجل : نعم يا نبى الله ، قال هل رأى ذلك أحد ؟ قال : قد كان هاهنا ناس من المسلمين، فقال اللهم إنى أشهد شهادة رجل رأى ذلك ألا أخبرنى ؟ فقال ناس من المسلمين يا رسول الله أنت دميته ولم ترد ، قال فخذ لما أصبتك مالاً وانطلق قال : لا قال : فهب لى ذلك فقال : لا أفعل . قال: فتريد ماذا ؟ قال: أريد أن أستقيد منك يا نبى الله فقال : نعم فقال له الرجل أخرج من وسط هؤلاء فخرج من وسطهم ،وأمكن الرجل من الجريدة يستقيد منه فكشف عن بطنه وجاء عمر يمسك النبى ﷺ من خلفه فقال : عثرت بغلتك وانكسرت أسنانك، فلما دنا الرجل ليطعن النبى ﷺ ألقى الجريدة وقبل سرته، وقال يا نبى الله هذا الذى أردت لكيما يقمع[3] الجبارون من بعدك فقال عمر لأنت أوثق عملاً منى .

هذه العدالة والمساواة الحقة والتى بمقتضاها لم يكن أحد بمنجاة من القصاص والعقاب إن هو ارتكب ما يوجبه حتى وإن كان فى موقع السلطة، فالكل أمام شرع الله سواء .

جاء فى كتاب الخراج لابى يوسف « كتب عمر رضي الله عنه إلى عماله أن يوافوه

(1) غَمَّ الشئ ستره وغطاه

(2) تاركك .

(3) يقمع : يذل .

بالموسم، فوافوه فقام وقال : يا أيها الناس إنى أبعث عمالى هؤلاء ولاة بالحق عليكم ولم استعملهم ليصيبوا من أبشاركم[1] ولا من دمائكم ولا من أموالكم، فمن كانت له مظلمة عند أحد فليقم قال : فما قام من الناس يؤمئذ إلا رجل واحد فقال : يا أمير المؤمنين عاملك ضربنى مائة سوط ، فقال عمر أتضربه مائة سوط قم فاستقد منه، فقام إليه عمرو بن العاص فقال له: يا أمير المؤمنين إنك إن تفتح هذا على عمالك كبر عليهم ، وكانت سنة يأخذ بها من بعدك، فقال عمر : ألا أقيده منه وقد رأيت رسول الله ﷺ يقيد من نفسه؟ قم ، فاستقد، فقال عمرو : دعنا إذن فلنرضه ، قال : فقال: دونكم، قال : فأرضوه بأن اشتريت منه بمئتى دينار، كل سوط بدينارين.

تلك العدالة التى استمتع بها وعاش فى ظلها حتى من كان بينه وبين الحاكم بغضاء أو مشاحنة.

روى عن عمر بن الخطاب أنه قال لقاتل أخيه زيد بن الخطاب : والله لا أحبك حتى تحب الأرض الدم فقال الأعرابى القاتل أفتظلمنى حقى يا أمير المؤمنين ؟ قال عمر : لا فقال الأعرابى : إنما يأسى على الحب النساء .

هذه المساواة التى نعم بها كل من عاش فى ظل الحكومة الإسلامية حتى من غير المسلمين .

وخطب الإمام على كرم الله وجهه عقب توليه الخلافة وقال: « **أيها الناس إنما أنا رجل منكم لى ما لكم وعلى ما عليكم، وإنى حاملكم على منهج نبيكم، ومنفذ فيكم ما أمرت به ... ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان وكل مال أعطاه من الله فهو مردود فى بيت المال ، فإن الحق لا يبطله شيء . ولو وجدته قد تزوج به النساء وملك الإماء وتفرق فى البلدان لرددته ، فإن فى العدل سعة ومن ضاق عليه الحق فالجور أضيق، أيها الناس.. ألا لا يقولن رجال منكم غدا- قد غمرتهم الدنيا فامتلكوا العقار وفجروا الأنهار ، وركبوا الخيل واتخذوا الرصائف »[2] المرققة- إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه وأصرتهم إلى حقوقهم التى يعلمون: « حرمنا ابن أبى طالب حقوقنا ». ألا وأيما رجل من المهاجرين**

---

(1) جلودكم .

(2) الرصائف : جمع رصافة وهى الموضع .

والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يرى أن الفضل له على سواه بصحبته فإن الفضل غدا عند الله وثوابه وأجره على الله ألا وأيما رجل استجاب لله ولرسوله فصدق ملتنا ودخل ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، فأنتم عباد الله والمال مال الله يقسم بينكم بالسويه، ولا فضل فيه لأحد على أحد ، وللمتقين عند الله أحسن الجزاء .

وفى عهد عمر بن عبد العزيز بدأ حكمه بأن صعد المنبر فقال : « **أيها الناس إنى قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأى كان منى فيه، ولا طلبة له ولا مشورة من المسلمين وإنى قد خلعت ما فى أعناقكم من بيعتى فاختاروا لأنفسكم**» فصاح الناس قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضيناك قل- أي تولى - الأمر باليمن والبركة .

وبذلك رد الأمر إلى نصابه فى ولاية الأمر ، فلا ولاية بغير شورى ورضى وقبول عندئذ خطب الناس فقال : « **أيها الناس . إنه قد كان قبلى ولاة تجترون مودتهم بأن تدفعوا بذلك ظلمهم عنكم. ألا لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، من أطاع الله وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له، أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم...**» ثم بدأ يرد المظالم، فقال : « إنه لينبغى ألا أبدأ بأول من نفسى . فنظر إلى ما فى يديه من أرض أومتاع فخرج منه حتى نظر إلى فص خاتم كان فى يده فقال : أعطانيه الوليد من غير حقه مما جاء من أرض المغرب فرده وخرج مما كان فى يده من القطائع ثم ثنى بزوجته فاطمة بنت عبد الملك بن مروان وكان عندها جوهر أمر به أبوها ، لم ير مثله فقال لها : اختارى إما أن تردى حليك إلى بيت المال وإما أن تأذنى لى فى فراقك فإنى أكره أن أكون أنا وهو فى بيت واحد . قالت : لا بل أختارك يا أمير المؤمنين عليه. وعلى أضعافه لو كان لى ، فأمر به فحمل حتى وضع فى بيت مال المسلمين، فلما مات عمر واستخلف يزيد بن عبد الملك قال لأخته فاطمة، إن شئت رددته عليك، قالت فإنى لا أشاؤه، طبت عنه نفساً فى حياة عمر وأرجع فيه بعد موته لا والله أبدا. فلما رأى ذلك قسمه بين أهله وولده» .

ولم يكتف عمر برد ما كان فى يده من المظالم بل ذكروا أنه كان لا يأخذ من بيت المال شيئاً، ولا يجرى على نفسه من الفئ درهماً وكان عمر بن الخطاب يجرى على نفسه فى ذلك درهمين فى كل يوم فقيل لعمر ابن عبد العزيز لو أخذت ما كان

يأخذه عمر بن الخطاب فقال إن عمر بن الخطاب لم يكن له مال وأنا مالى يغنينى .

وروى أنه جاءه رجل ذمى من أهل حمص فقال : يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله قال : وما ذاك؟ قال : العباس ابن الوليد بن عبد الملك اغتصبنى أرضى - والعباس جالس - فقال له : يا عباس ما تقول ؟ قال : أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك وكتب لى بها سجلاً ، فقال : ما تقول يا ذمى قال : يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله عز وجل فقال عمر : نعم كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك : يا عباس اردد عليه ضيعته فردها عليه[1] .

بعد أن استعرضا تلك الصورة المشرقة لنظام الحكم فى الإسلام والتى استبان منها أنه نظام قام على الاختيار الحر والشورى والعدالة والمساواة ومساءلة الحاكم وقد طبق هذا النظام عملياً وقامت على أساسه دولة عظمى ، امتدت حدودها واتسعت رقعتها شرقاً وغرباً .

يقول الإمام حسن البنا فى رسالته بين الأمس واليوم : « **على قواعد هذا النظام الاجتماعى القرآنى الفاضل قامت الدولة الإسلامية الأولى ، تؤمن به إيماناً عميقاً وتطبقه تطبيقاً دقيقاً ،وتنشره فى العالمين حتى كان الخليفة الأول** رضي الله عنه » يقول : « **لو ضاع منى عقال بعير لوجدته فى كتاب الله**» وحتى إنه ليقاتل مانعى الزكاة، ويعتبرهم مرتدين بهدمهم هذا الركن من أركان النظام الإسلامى ويقول : والله لو منعونى عقالاً كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه ما أستمسك السيف بيدى » .

وكانت الوحدة بكل معانيها ومظاهرها تشمل هذه الأمة فالوحدة الاجتماعية شاملة بتعميم نظام القرآن ولغة القرآن

والوحدة السياسية شاملة فى ظل أمير المؤمنين ، وتحت لواء الخلافة فى العاصمة . ولم يحل دونها أن الفكرة الإسلامية فكرة لا مركزية فى الجيوش وفى بيوت المال وفى تصرفات الولاه . إذ أن الجميع يعملون بعقيدة واحدة وبتوجيه عام متحد .

---

(1) عمر بن عبد العزيز ، أحمد زكى صفوت نقلاً عن كتاب العدالة الاجتماعية فى الإسلام: سيد قطب صـ 223، 224 .

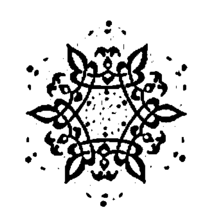
ولقد طاردت هذه المبادئ القرآنية الوثنية المخرفة فى جزيرة العرب وبلاد الفرس فقضدت عليها . وطاردت اليهودية الماكرة فحصرتها فى نطاق ضيق وقضت على سلطانها الدينى والسياسى قضاءً تاماً .

وصارعت المسيحية حتى انحسر ظلها فى قارتى آسيا وأفريقيا وانحازت إلى أوروبا فى ظل الدولة الرومانية الشرقية بالقسطنطينية .

وتركز بذلك السلطان الروحى والسياسى بالدولة الإسلامية فى القارتين العظيمتين وألحت بالغزو على القارة الثالثة تهاجم القسطنطينية فى الشرق، وتحاصرها حتى يجهدها الحصار وتأتيها من الغرب فتفتح الأندلس ، وتصل جنودها المظفرة إلى قلب فرنسا وإلى شمال وجنوب إيطاليا ، وتقيم فى غرب أوروبا دولة شامخة البنيان مشرقة بالعلم والعرفان . ويتم لها بعد ذلك فتح القسطنطينية نفسها وحصر المسيحية فى هذا الجزء المحدود من قلب أوروبا .

وتمخر الأساطيل الإسلامية عباب البحرين الأبيض والأحمر ، فيصير كل منها بحيرة إسلامية ، وتقبض قوات الدولة الإسلامية بذلك على مفاتيح البحار من الشرق والغرب ، وتتم لها السيادة البرية والبحرية .

«وقد اتصلت هذه الأمم الإسلامية بغيرها من الأمم ، ونقلت عنها كثيراً من الحضارات ولكنها تغلبت بقوة إيمانها ومتانة نظامها عليها جميعاً ، فعربتها أو كادت ، واستطاعت أن تصبغها بصبغتها ، وأن تحملها على لغتها ودينها بما فيهما من روعة وحيوية وجمال ، ولم تتحرج أن تأخذ النافع من هذه الحضارات جميعاً من غير أن يؤثر ذلك فى وحدتها الاجتماعية والسياسية . .» .



لا حكومة ثيوقراطية فى الإسلام

بعد ذلك لا يستقيم القول بأنه ليس فى الإسلام نظم للحكم تلافياً لأخطار الحكومة الدينية وتجنباً لآثارها المريرة وعواقبها الوخيمة التى عانت منها البشرية ، ذلك أن الحكومة الدينية نظام قام فى فترة من فترات التاريخ فى أوروبا باسم الدين وهو ليس من الدين فى شىء ، ولا وجود لمثل هذا النظام فى الإسلام فى نصوصه الثابتة ، ولم يحدث فى التاريخ الإسلامى أن ثمت حاكماً قام يدعى حكم الناس باسم الحق الإلهى ، أو بتفويض من الله على غرار ما حدث فى أوروبا فشبهة قيام الحكومة الدينية بمعناها السالف الذكر منتفية تماماً فى ظل الإسلام ، ذلك أن الإمام المسلم لا يستمد ولا يته من « الحق الإلهى» ولا من الوساطة بين الله والناس ، إنما يستمد مباشرته للسلطة من الجماعة الإسلامية ، كما يستمد السلطة ذاتها من تنفيذ الشريعة التى يستوى الكل فى فهمها وتطبيقها متى فقهوها ويحتكم إليها الكل على السواء» (1) .

وليست هناك حكومة إلهية من مجموعة من الناس أياً كان إخلاصهم فى العبادة لله ، وأياً كانت منزلتهم منه ، فإذا أخذت بتعاليم القرآن واتبعت مبادئه فى سياستها فهى حكومة إنسانية تخضع للخطأ والصواب ، ولذا - فعند النزاع فى الأمور مع القائمين على شأن الحكومة الإسلامية- فالقرآن يطلب العودة بالنزاع بين الطرفين : طرف الحاكمين وطرف المحكومين إلى كتاب الله وسنة رسوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء 59,58]

فهنا يأمر القرآن المؤمنين جميعاً من أولى الأمر وغيرهم بأربعة مبادئ :

أ- بأداء الأمانات إلى أهلها ، وفى مقدمة الأمانات أداء صاحب الولا ية العامة

---

(1) العدالة الاجتماعية فى الإسلامية صـ17 سيد قطب نقلاعن مؤلفنا السابق ذكره

أمانة ولايته، لمن يتولى عليهم، وبالأخص العمل طبقاً لما جاء فى كتاب الله .

ب - بمباشرة العدل فى الحكم، والقضاء بين الأطراف المعنية فى الخصومة.

جـ- بالطاعة لما لله من قوانين ومبادئ فى صورة أوامر أو وصايا، وطبقاً لما جاء فى كتابه وفى سنة رسوله قولا وعملاً.

د- بالاحتكام إلى الله فى القرآن وسنة الرسول ﷺ من مبادئ وأحكام ، وتطبيق عملى عند التنازع بينهم وبين أولى الأمر فيهم، فطلب القرآن رجوع المؤمنين جميعاً إلى الله فى الكتاب والسنة فيما بين ولى الأمر ومن عداه فى الجماعة. . ويوضح فى غيرإبهام أن أصحاب الحكم والولاية العامة فى الجماعة المؤمنة لا يرتفع مستواهم إلى « العصمة» عن الخطأ [1] .

الحكم المدنى والحكم الإسلامى :

وإذا كان نظام الحكم فى الإسلام ليس حكماً دينياً بالمعنى الذى عرفته أوروبا ، ففى الوقت نفسه ليس حكماًمدنياً بمعنى أن الإسلام لم يتعرض لنظام الحكم ، وترك ذلك لتجارب البشر إنما وضع الإسلام القواعد العامة لنظام الحكم ، وقد يحدث أن يكون هناك تشابه بين الأنظمة والمبادئ التى تقوم عليها بعض الحكومات المدنية وبين نظام الحكم فى الإسلام فى بعض الجوانب ، ولكن ذلك التوافق لا يجعلنا نهدر السمة الأساسية لنظام الحكم فى الإسلام ونخلع وصف الحكم المدنى ذلك أن الفارق الجوهرى الذى يميز الحكم الإسلامى عن الحكم المدنى هو أن الحكومة الإسلامية المتمثلة فى الخلافة كما عرفها فقهاء الشريعة بأنها رياسة عامة فى أمور الدين والدنيا نيابة عن النبى ﷺ وعرفت أيضاً بأنها خلافة الرسول فى إقامة الدين وحفظ حوزة الملك بحيث يجب اتباعه على كافة الأمة[2] وعرفها الماوردى« بأنها موضوعة لخلافة النبوة فى حراسة الدين وسياسة الدنيا»[3] وعرفها ابن خلدون بأنها

---

(1) الإسلام فى حل مشاكل المجتمعات المعاصرة للدكتور محمد البهى صـ24 مكتبة وهبه الطبعة الثانية سنة 1978 .

(2) المواقف صـ 603 المسامرة ج 2 صـ 641، أسنى الطالب وحاشية شهاب الرملى جـ4 صـ108 نقلاً عن الإسلام لسعيد حوى صـ 375 دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية.

(3) الأحكام السلطانية للماوردى صـ 3 نقلاً عن مؤلفنا فى وجه المؤامرة على تطبيق الشريعة الإسلامية طبعة دار الوفاء.

حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعى فى مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها إذْ أنَّ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها مصالح الآخرة فهى فى الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسه الدنيا [1].

أما الحكومة المدنية فلا تقوم على الدين ولا يعتبر جزءاً من رسالتها وأهدافها وتتفاوت درجة اهتمامها به حسب نوع الحكم فهناك أنواع من الحكومات المدنية أقرب إلى الحكومة العلمانية منها إلى الحكومة المدنية.

يقول الشيخ محمد الغزالى فى كتابه القيم: معركة المصحف فى العالم الإسلامى « ولما كانت الحكومات المدنية ليست- فى جوهر تكوينها- وثيقة الصلة بالدين فإنه سرعان ما تطرق إليها الوهن فتعثر خطوها فى كل ناحية.

إن هذه الحكومات لم تهتم بالتربية الدينيه فنشأ الأفراد على طبائعهم دون تهذيب، وإصلاح المنهج التعليمى وتحديثه وتطويره والوصول به أعلى مستويات الرقى العالمى لا يجدى فتيلا طالما يهمل جانب التربية الإسلامية وبناء الناشئة على منهجها.

إن البلبلة النفسية والاجتماعية ستظل تهز كل شىء وتذروه بدداً وستظل الكوارث فى الداخل والخارج حتى نصل ما بيننا وبين الإسلام فى ميدان التربية والتعليم وفى ميدان الإدارة والتشريع وفى ميدان الاقتصاد والسياسة وفى شعائر الحياة العامة والخاصة كلها.

ولقد نفض المسلمون أيديهم من الخلافة وخلعوا ربقتها من أعناقهم وقامت على أنقاضها حكومات مدنية فى أرجاء العالم الإسلامى تنوعت أشكالها وتعددت أهدافها وغايتها واختلفت وجهاتها فمنها من ولى وجهه شطر الغرب ومنها من ولى وجهه نحو الشرق.

فهل أغنت تلك الحكومة المدنية عن الخلافة فتيلا ففى ظل الحكومات المدنية تفككت أوصال العالم الإسلامى والعربى إلى كيانات صغيرة عاجزة عن نصرة قضايا العالم الإسلامى.

---

(1) مقدمة ابن خلدون ص 180 طبعة دار التحرير.

موقف الحكومات المدنية من الإسلام

إن موقف الحكومات المدنية من الإسلام وقضايا المسلمين يتلخص فى الآتى :

أولا : فى ميدان التشريع :

لازالت الشريعه الإسلامية معطلة تعطيلاً كاملاً ويجاهد الغيورون من المسلمين فى سبيل عودة هذه الحكومات إلى أحكام الشريعة الإسلامية . فتتعلل هذه الحكومات بتعللات هى من بيت العنكبوت .

ثانياً : فى مجال التربية والأخلاق :

لم تول هذه الحكومات أمر تنشئة النشىء على القيم الإسلامية بل عكس ذلك يحدث فقد سلمت زمام التوجيه إلى نفر لم تشرب قلوبهم روح الإسلام فسخروا الإعلام لكل ما هو ضد الفضيلة وما يتنافى مع الآداب الاجتماعية الإسلامية، الأمر الذى أفضى إلى انحراف كثير من شباب الأمة التى هى أحوج ما تكون إليهم .

ثالثاً : فى مجال السياسة الخارجية :

لم تقم العلاقات بين الدول الإسلامية على أساس الأخوة الإسلامية بما يترتب عليها من التناصر والتعاون والتآخى . فأصبح المسلمون نهبا لكل طامع والواقع الأليم الذى يعيشه المسلمون فى كل بقاع العالم يغنى عن الإفاضة فى هذا الحديث .

بينما فى عهود الخلافة الإسلامية يهب الخليفة العباسى المعتصم لنجدة امرأةمسلمة لطمها واحد من أعداء الدولة الإسلامية فصاحت وامعتصماه فعلم بذلك المعتصم فأرسل جيشا جراراً لنجدتها وتحرير هذا البلد من قوى الكفر والطغيان .

رابعاً :فى مجال الدعوة إلى الإسلام :

قصرت الحكومات المدنية فى الدعوة إلى الإسلام فى الوقت الذى تجوب فيه البعثات التبشيرية لنشر النصرانية فى مجاهل أفريقيا وآسيا مزودة بإمكانيات هائلة من الأطباء لعلاج المرضى وبالغذاء لإطعام الجائعين كل ذلك تحت شعار الصليب .

كتب الأستاذ جلال الدين الحمامصى فى صحيفة الأخبار الصادرة فى 18 / 8 / 1985

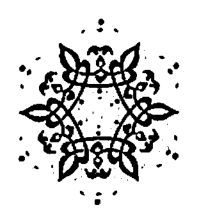
يقول « أنهى قداسة البابا يوجنا بولس الثانى أخيراً جولته الثالثة فى أفريقيا خلال خمسة أعوام، وقداسة البابا هو أنشط الذين اعتلوا كرسى البابوية فهو يقوم برحلات متعددة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً.

وتلقى رحلاته من صحف العالم الغربى تغطيات واسعة وإبرازاً صريحاً لاهدافها على أنه لأول مرة تكشف الصحف الأمريكية أن هدف قداسة البابا من زياراته الحالية هو حث رجال الكنيسة فى القارة السوداء على مقاومة المد الإسلامى فيها.

وقد ذكر الأستاذ جلال الدين الحمامصى أيضاً « أن قداسة البابا قد زار أفريقيا ثلاث مرات خلال خمس سنوات سعياً إلى الحفاظ على المد الكاثوليكى فيها والذى يقدر بمليونين فى العام الواحد، ووصل حالياً إلى 16% من مجموع سكان القارة أو ما يقدر بخمسة وستين مليوناً ذلك أن هذه القارة يعيش سكانها حالياً كما قال متحدث باسم الفاتيكان: « تحت سيطرة الروابط القبلية المتنافرة والتى تسبق الرابطة القومية الوطنية، ومن هذا الواقع فإنه لكى تتحقق وحدة أفريقيا تكون أولاً فى خدمة الاتجاه القومى داخل كل دولة أفريقية على حدة، فلابد من وجود « رابطة تجانس» لا يحققها إلا واحد من عقيدتين الكاثوليكية أو الإسلامية ».

وهذا الذى ذكره الأستاذ جلال الدين الحمامصى يؤيد ويدعم ما ذكرناه آنفاً من ضرورة قيام الخلافة الإسلامية التى تتبنى قضايا الإسلام والمسلمين وتقوم على شئون الدعوة الإسلامية وتبليغها للعالمين.

إنه فى ظل الحكومات المدنية تغلغل المد الكاثوليكى فى أفريقيا تحت رعاية « الفاتيكان» ولولا قوة الدين الإسلامى وسهولة تعاليمه لما صمد إزاء هذا النشاط التبشيرى المدعم بالقوة المادية (1) .



(1) راجع مؤلفنا« ماذا تريد الصليبية الحديثة» طبعة دار التوزيع النشر الإسلامية وكذا« فى وجه المؤامرة على تطبيق الشريعة الإسلامية»

الإخوان المسلمون والخلافة

يقول الإمام الشهيد فى رسالةالمؤتمر الخامس « إن الإخوان المسلمين يعتقدون أن الخلافة رمز الوحدة الإسلامية ومظهر الارتباط بين أمم الإسلام وأنها شعيرة إسلامية يجب على المسلمين التفكير فى أمرها والاهتمام بشأنها، والخلافة مناط كثير من الأحكام فى دين الله ولهذا قدَّم الصحابة رضوان الله عليهم النظر فى شأنها على النظر فى تجهيز النبى ﷺ ودفنه حتى فرغوا من تلك المهمة واطمأنوا إلى انجازها.

والأحاديث التى وردت فى وجوب الإمام وبيان أحكام الإمامه وتفصيل ما يتعلق بها، لا تدع مجالا للشك فى أن من واجب المسلمين أن يهتموا بالتفكير فى أمر خلافتهم التى حُوِّرَتْ عن مناهجها ثم ألغيت بتاتاً إلى الآن.

والإخوان المسلمون لهذا يجعلون فكرة الخلافة والعمل لإعادتها فى رأس مناهجهم وهم مع هذا يعتقدون أن ذلك يحتاج إلى كثير من التمهيدات التى لابد منها وأن الخطوة المباشرة لإعادة الخلافة لابد أن تسبقها خطوات:

لابد من تعاون ثقافى واجتماعى واقتصادى بين الشعوب الإسلامية كلها يلى ذلك تكوين الأحلاف والمعاهدات وعقد المجامع والمؤتمرات بين هذه البلاد.

وبهذا وقف الأستاذ البنا من قضية الخلافة موقفاً يقوم على فقه الشريعه وفقه الواقع فالخليفة ليس مجرد حاكم يحكم بالشريعة إنما هو حاكم الأمة المسلمة على اتساع أقطارها واختلاف ألسنتها وألوانها وبعبارة أخرى: هو نائب رسول الله ﷺ فى إقامة الدين وسياسة الدنيا به كما عبر علماؤناً من قديم وتحقيق هذا يفتقر إلى مقدمات وتمهيدات لترميم ما خرب الاستعمار، والسياسى والثقافى والتشريعى فى بنيان أمتنا وإعدادها إلى الوحدة الكبرى تحت راية القرآن وشريعة الإسلام [1].

ويقول الإمام حسن البنا فى رسالته إلى الشباب « ونريد بعد ذلك أن نضم إلينا كل جزء من وطننا الإسلامى الذى فرقته السياسة الغربية وأضاعت وحدته المطامع الأوروبية ونحن بهذا لا نعترف بهذه التقسيمات السياسة التى تجعل من الوطن الإسلامى دويلات ضعيفة ممزقة يسهل على الغاصبين الأستيلاء عليها [2].

---

(1) رساله المؤتمر الخامس للأمام الشهيد حسن البنا ص14 مجموعة الرسائل.

(2)الإخوان المسلمون سبعون عاماً فى الدعوة والتربية والجهاد، مكتبة وهبة ص 295,156,150 .
د. يوسف القرضاوى.

« ويريد الله بعد ذلك أن تقوم للإسلام دولة وارفة الظلال قوية البأس شديدة المراس تجمع كلمة أهله وتضم تحت لوائها معظم أممه وشعوبه ويأبى لها علو الهمة إلاأن تغزو المسيحية فى عقر دراها فتفتح القسطنطينية ويمتد سلطانها فى قلب حتى يصل إلى فيينا تلك هى دولة الاتراك العثمانية (1) .

اطمأنت الدولة الإسلامية تحت لواء العثمانيين إلى سلطانها واستنامت إليه، وغفلت عن كل ما يدور حولها .

ولكن أوروبا التى استضاءت بأضواء الإسلام غرباً بالأندلس وشرقاً بالحملات الصليبية، لم تضع الفرصة ولم تغفل عن الاستفادة بهذه الدروس .

فأخذت تتقوى وتتجمع تحت لواء الفرنجة فى بلاد الغال، واستطاعت بعد ذلك أن تصد تيار الغزو الإسلامى الغربى، وأن تبث الدسائس بين صفوف مسلمى الأندلس، وأن تضرب بعضهم ببعض إلى أن قذفت بهم أخيراً إلى ما وراء البحر أو إلى العدوة الأفريقية .

فقامت مقامهم الدولة الاسبانيولية الفتية، ومازالت أوروبا تتقوى وتتجمع وتفكر وتتعلم، وتجوب البلاد وتكشف الأقطار، حتى كان كشف أمريكا عملا من أعمال اسبانيا وكشف طريق الهند عملا من أعمال البرتغال ، وتوالت فيها صيحات الإصلاح ونبغ بها كثير من المصلحين وأقبلت على العلم الكونى والمعرفة المنتجة المثمرة .

وانتهت بها هذه الثورات الإصلاحية إلى تكوين القوميات وقيام دولة قوية جعلت هدفها جميعاً أن تمزق هذه الدولة الإسلامية التى قاسمتها أوروبا واستأثرت دونها بأفريقيا وآسيا وتحالفت هذه الدولة الفتية على ذلك أحلافاً رقت بها إلى درجة القداسة فى كثير من الأحيان .

وامتدت الأيدى الأوروبية ، بحكم الكشف والضرب فى الأرض والرحلة إلى أقصى آفاقها البعيدة، إلى كثير من بلدان الإسلام النائية كالهند وبعض الولايات الإسلامية المجاورة لها

---

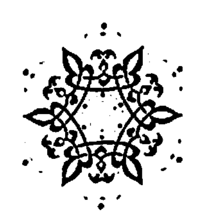
(1) مجموعة الرساءل ص 99,89 . الأمام حسن البنا .

أخذت تعمل فى جد للوصول إلى تمزيق دولة الإسلام القوية الواسعة وأخذت تضع لذلك المشروعات الكثيرة تعبر عنها أحياناً بالمسألة الشرقية وأخرى باقتسام تركة الرجل المريض، وأخذت كل دولة تنتهز الفرصة السانحة وتنتحل الأسباب الواهية، وتهاجم الدولة الوادعة اللاهية فتنقص بعض أطرافها أو تهد جانباً من كيانها ، واستمرت المهاجمة أمداً طويلاً انسلخ فيه عن الدولة العثمانية كثير من الأقطار الإسلامية، وقعت تحت السلطان الأوروبى كالمغرب الأقصى وشمال أوروبا واستقل فيه كثير من البلاد غير الإسلامية التى كانت تحت سلطان العثمانيين، كاليونان ودول البلقان وكان الدور الختامى فى هذا الصراع الحرب العالمية الأولى 1918,1914 الذى انتهى بهزيمة تركيا وحلفائها وبذلك سنحت الفرصة لأقوى شعوب أوروبا (انجلترا وفرنسا) وإلى جوارها إيطاليا فوضعت يدها على هذا الميراث الضخم من أمم الإسلام وشعوبه وبسطت سلطاتها عليها بأسماء مختلفة من احتلال واستعمار ووصاية وانتداب .

وما أروع ما قاله الأستاذ عمر التلمسانى « نمت بين أضلاعى بذرة الحب والارتباط بكل المسلمين فى جميع أنحاء العالم فإذا جاع مسلم فى القطب الشمالى شعرت بمغصة الجوع بين أحشائى وإذا أريق دم مسلم مظلوم فى أى مكان شعرت كأنما الدم فى شراينى وأوردتى هو الذى يقطر ألما وتوجعا وحزنا .

إذا ديست أرض مسلمة خاصمنى الرقاد .

أحس أن القرش الذى فى جيبى ليس ملكى »[1] .



(1) عمر التلمسانى بين حماس الشباب وكلمة الشيوخ للمؤلف .

الدولة العثمانية التاريخ والفتوحات

فتح القسطنطينية

السلطان محمد الفاتح

اكتشاف قبر أبى أيوب الأنصارى

الخلافة الإسلامية تئول للعثمانيين

الدولة العثمانية التاريخ والفتوحات

ينحدر الأتراك العثمانيون من قبيلة صغيرة من قبائل وسط آسيا وكان زعيم القبيلة يدعى أرطغرل وقد اكتسح المغول هذه القبيلة .

وبينما كانت تتجول بزعامة رئيسها (أ رطغرل) فى آسيا الصغرى بالقرب من أنقرة إذا شاهدت جيشين يقتتلان فما كان من رجال هذه القبيلة الصغيرة إلا أن اقتحموا ميدان القتال لينصروا الجانب الضعيف ويقفوا بجواره فدارت الدائرة على الأقوياء وانتصر **(أرطغرل وحلفاؤه الضعاف)** .

ثم تبين أن الذين قام **(أرطغرل)** بنصرتهم والقتال معهم أنهم من بنى قرابته الاتراك السلاجقة الذين يتعرضون لهجوم المغول المغيرين على سلطنة(قونية) ومليكها إذ ذاك السلطان علاء الدين

وقد كافأ علاء الدين تلك القبيلة الصغيرة على تضحيتها الجليلةجزءاً من مملكته قرب « **بروسة**»[1] .

وفى سنة 656 هـ 1258م ولد عثمان ابن أطغرل الذى سميت به الدولة العثمانية .

توفى أرطغرل سنة 687 هـ الموافق سنة 1288م فعين الملك علاء الدين **(عثمان)** أكبر أولاده وهو مؤسس الدولة العثمانية وقد اهتم بتنظيم الدولة الإسلامية الناشئة وتأمين الجبهة الداخلية وبعدها أرسل إلى جميع أمراء الروم ببلاد آسيا الصغرى ، يخيرهم بين أمور ثلاثة هى : الإسلام أو الجزية أوالحرب فأسلم بعضهم وقبل البعض دفع الجزية واستعان باقى أمراء الروم على السلطان عثمان بالتتار واستدعوهم لنجدتهم لكن السلطان عثمان لم يعبأ بهم وأعد جيشاً جرارا للدفاع الدولة الإسلامية بقيادة ابنه أورخان الذى شتت شمل التتار وعاد مسرعاً لمحاصرة مدينة (بورصة)[2] فهاجم حصونها وقلاعها ثم حاصر المدينة نحو ما يقرب من عشر

---

(1) بروسة منطقة على تخوم الدولة الرومانية الشرقية تسمى « راسكى شهر » أصبحت مهدا للدولة ومركزاً للجهاد حيث ولد فيها « عثمان ابن أرطغرل الذى تنسب إليه الدول العثمانية .

(2) مدينة بآسيا شهيرة بهوائها النقى وجمال مناظرها الربانية ومياها المعدنية التى تشفى كثيراً من الأمراض وهى مصيف من أجمل مصايف العالم وقد ظلت بورصة عاصمة الدولة العثمانية من سنة 1327 إلى سنة 1361 م ثم انتقلت العاصمة إلى أدرنه ثم إلى استانبول سنة 1453م .

سنوات من غير حرب ولا قتال ثم أصدر ملك القسطنطينية أوامره لعامله على هذه المدينة بالانسحاب ودخلها أورخان وجنوده دون قتال وصالح أهلها على دفع مبلغ ثلاثين ألف من عملتهم الذهبية وأسلم حاكمها (أفرينوس) فأعطى له السلطان العثمانى (عثمان) لقب بك وصار من مشاهير القواد العثمانيين(1) .

وفى 21من رمضان توفى عثمان فتولى الملك بعده ابنه أورخان تنفيذا لوصية أبيه وعمل أورخان على توسيع رقعة الدولة الإسلامية حيث تم فى عهده فتح ما تبقى من آسيا الصغرى وقضى على نفوذ الروم فيها وعامل أهل تلك البلاد بالحسنى والرفق واللين ولم يتعرض لهم فى إقامة شعائر دينهم .

كما قام بإنشاء المدارس وتكايا الفقراء وأنشأ العديد من الجوامع وأجزل العطايا للعلماء .

واستطاعت جيوش العثمانيين فى عهد أورخان النزول بساحل أوروبا وإنشاء نقاط عسكرية على الشاطىء الأوروبى .

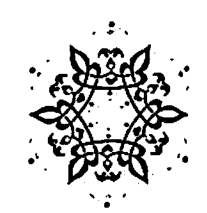
وفى سنة 1357 اجتاز سليمان باشا أكبر أولاد السلطان أورخان وولى عهده بوغاز الدردنيل ومعه أربعون من أشجع جنوده تحت أستار الظلام حتى وصلوا إلى الضفة الأخرى واستولو على ما فيها من القوارب وعادوا بها إلى معسكرهم وعبرت القوات الإسلامية العثمانية بوغاز الدردنيل وبلغ عددها ثلاثين ألفا واحتلوا بعض الموانىء والمدن الواقعة على بوغاز الدرنيل ذات الأهمية العسكرية وفى سنة 1359 توفى سليمان باشا ولى عهد الدولة وصارت ولاية العهد بعده إلى أخيه مراد وفى سنة 761هـ 1360م انتقل إلى الدار الآخرة السلطان أورخان وعمره 81 سنة ومدة حكمه 34 سنة دعم فيها الدولة الإسلامية العثمانيةوأيدها بفتوحاته العظيمة وترتيبه للأمورعلى نحو حسن ودفن فى مدينة بورصة حيث دفن ملوك آل عثمان الستة الأول .

---

(1) تاريخ الدولة العلية العثمانية محمد فريد تحقيق الدكتور إحسان حقى ص118 وما بعد ها طبعة دار النفائس بيروت الطبعة الخاصه وصحوة الرجل المريض لموفق بنى المرجه الناشر مؤسسة صقر الخليج للنشر والطباعة ص39 وما بعد ها .

تولى بعد أورخان السلطان مراد الأول وبدأ عهده بفتح (أنقرة)والعديد من المدن حتى أصبحت مدينة القسطنطينية محاطة من جهة أوروبا بأملاك آل عثمان وعزلت عن باقى الأمارات المسيحية الصغيرة .

وصارت دول آل عثمان متاخمة لإمارات الصرب وبلغاريا وألبانيا وتم فتح مدينة أدرنة فى 1361 سلمها قائدها الرومى بعد قتال قليل ولأهمية موقعها الجغرافى لوقوعها على ملتقى ثلاثة أنهار نقل إليها السلطان عاصمة المملكة واستمرت عاصمة لها إلى أن فتحت القسطنطينية وبعد ذلك اجتمع الملوك الأوروبيون المجاورون للدولة العثمانية وطلبوا من البابا (أوربانوس)أن يتوسط لدى ملوك أوروبا الغربية فى تكوين حملة صليبية لإخراج المسلمين من أوروبا خوفاً ممن امتداد فتوحاتهم إلى جميع الممالك الأوروبية .



فتح القسطنطينية

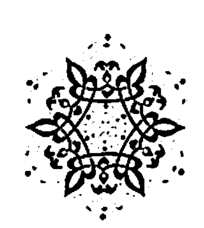
كتب البابا لجميع الملوك بالتأهب لمحاربة المسلمين حفاظاً على الدين المسيحى من الفتوحات الإسلامية وتكونت حملة صليبية بقيادة ملك الصرب وكان ذلك سنة 866 هـ - 1363م لكن الجيوش الإسلامية العثمانية ردتهم على أعقابهم.

واستمرت الفتوحات الإسلامية ودخل المسلمون مدينة صوفيا عاصمة بلغاريا وبلاد المجر وأصبحت بلاد الصرب ونسبة كبيرة من جزيرة البلقان تحت السيادة العثمانية الإسلامية وبقيت بعض الأجزاء الصغيرة مازالت تحت سيطرة البلقان ومدينة القسطنطينية فى يد الرومان فقام السلطان محمد الثانى الفاتح بالإعداد لفتح القسطنطينية فقام بتحصين بوغاز البوسفور حتى لا تصلها أية إمدادات من أوروبا فأقام قلعة على شاطىء البوغاز وحاصر المدينة فى أوائل 1453م من جهة البر بجيش يبلغ عدده مائتين وخمسين ألف مقاتل وحاصرها من جهة البحر بأسطول من السفن الحربية بلغ عددها (280) سفينة وأقام حول المدينة أربعة عشر مدفعاً محشوة بكرات من الحجر زنة الكرة الواحدة 300 كيلو جرام وكان مدى مرمى المدفع أكثر من ميل وكان المدفع يحتاج إلى 700 شخص لجره وكان حشوه بالكرات يحتاج إلى ساعتين.

فلما شاهد قسطنطين آخر ملوك الروم هذه الاستعدادات استنجد بملوك أوروبا فأمدوه بأسطول بحرى بقيادة جوستنيانى فنشبت معركة حامية فى11 من ربيع الثانية سنة 857 هـ (21 إبريل1453م) وتم إزالة الحواجز الحديدية التى وضعت لإعاقة دخول الأسطول العثمانى الإسلامى ثم وضعت مرة أخرى فهدى الله السلطان محمد الفاتح إلى حيلة لإدخال المراكب إلى الميناء بعيداً عن الحواجز الموضوعة لمنعه وذلك بأن مهد طريقاً برياً يبلغ طوله ستة أميال ووضع فوقه ألواح الخشب ثم صب عليه الزيت والدهن حتى تنزلق عليه المراكب واستطاع أن ينقل نحو السبعين سفينة فى ليلة واحدة إلى الميناء فأحكمت الحصار على الجيوش الرومانية وقام السلطان محمد الفاتح بالتنبيه على المقاتلين بالاستعداد للهجوم فى اليوم العشرين من جمادى الأولى سنة 857 هـ- 29م مايو 1453م وفى الليلة السابقة على اليوم المحدد للاقتحام أشعل الجنود الأنوار فى معسكراتهم وظلوا

الليل يهللون ويكبرون حتى إذا لاح الفجر صدرت إليهم الأوامر بالهجوم فانطلق الجنود صوب الأسوار يتسلقونها كالأسود الضارية يزأرون بالتكبير والتهليل ، فدخلوها فاتحين فى اليوم الحادى والعشرين من جمادى الأولى سنة 857هـ- 30م من مايو سنة 1453م.

ودخل السلطان محمد الفاتح ظهراً فأصدر أوامره إلى الجنود بالحفاظ على الأمن ثم زار كنيسة أيا صوفيا وأمر بأن يؤذن فيها للصلاة إعلاناً بجعلها مسجداً جامعاً للمسلمين ثم أصدر بياناً أعْلن فى جميع أنحاء قسطنطينية بأنه يضمن للمسيحيين الحرية الدينية وإقامة الشعائر وحفظ أملاكهم فرجع من هاجر من المسيحيين ورؤسائهم الدينيين لينتخبوا بطْريقاً لهم فاختاروا رئيساً لهم واعتمد السلطان هذا الانتخاب وجعله رئيساً لطائفَة الأروام وأعطاه حرسا . وبعد أن استتب الأمر فى القسطنطينية خرج على رأس جيشة لتوسيع رقعة الدولة الإسلامية ففتح المجر والصرب والبوسنة والهرسك وألبانيا وجميع أقاليم آسيا الصغرى.





من حق هذا السلطان المسلم الذى قام بفتح القسطنطينية ورفع الإسلام فى قلب أوروبا أن نفرد له فصلا خاصاً .

قاد 25 حرباً بنفسه فى خلال 30 عاماً فقط قضى خلالها على الدولة البيزنطية أعتى الممالك وقتئذ حيث فتح القسطيطنية عاصمة الدول البيزنطية، وقام بتحويل كنيسة أيا صوفيا إلى مسجد فخم ثم استولى على دولتى الصرب والبوسنة والهرسك علاوة على احتلاله لجميع الألبانية وركز علم الإسلام فى هذه البلاد وظل يحارب لمدة 16عاماً متواصلة جيشاً صليبياً مكوناً من 20 دولة بناءً على الأوامر التى أصدرها بابا الفاتيكان حيث أعلن عام 1463 أن كل من يشارك فى هذه الحرب ضد الدولة العثمانية سيغفر له الرب ذنوبه .

استطاع أن يوسع رقعة الدولة العثمانية إلى 2,24 مليون كم^2 تقريباً وكانت يوم توليه الحكم 900 ألف كليو متر مربع أى أقلم من مليون وكان شوكة مدببة فى ظهر الدول الأوروبية كلها مما جعلها تسعى جاهدة للإطاحة به بكل الوسائل حتى أنه نجا من 14محاولة اغتيال دبرها له أعداؤه الأوروبيون إلا أن الطبيب اليهودى الذى كان يعمل ضمن أطباء القصر السلطانى استطاع أن ينجز المحاولة الخامسة عشر حيث دس له السم فى طعامه فلقى ربه شهيداً فى يوم 2 / 2 / 1484 رحمه الله وقدأمر البابا بدق نواقيس جميع الكنائس لمدة ثلاثة أيام ابتهاجاً بموت السلطان محمد الفاتح ولم يكن محمد الفاتح عسكرياً فحسب بل كان إدارياً بارعاً وكان يتقن 7لغات اتقاناً تاماً .

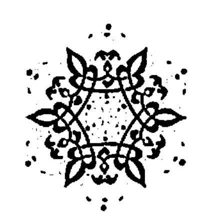
مما جعل مجلة «صنداى تايمز» تختاره فى عام 2004ضمن أهم 54 شخصية صنعوا تاريخ العالم ومن المفارقات أنه كان المسلم الوحيد بين هؤلاء الثلاثين[1] والفضل ما شهدت به الأعداء .

---

(1) مجلة العربى الكويتية العدد رقم 551سعبان 1425هـ- أكتوبر 2004م مقال بقلم ناصر عراق ص 132 . .

اكتشاف قبر أبى أيوب الأنصارى

أثناء حصار القسطنطينية تم اكتشاف قبر أبى أيوب الأنصارى الذى استشهد فى سنة 52هـ فى خلافة معاوية بن أبى سفيان أثناء محاولة فتحها ويذكر المؤرخون الثقات أن المسلمين حاولوا فتح القسطنطينية وحاصروها عدة مرات قبل فتحها على يد محمد الثانى الفاتح ، فحاصرها معاوية فى خلافة الإمام على سنة 34هـ - 654م وحاصرها يزيد بن معاوية سنة 47هـ- 667م وحصارها سفيان بن أوس سنة 52هـ 672م فى خلافة معاوية وفى سنة 97هـ- 715م حاصرها مسلمة بن عبد المطلب فى زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز الأموى وفى 141هـ- 739م فى خلافة هشام بن عبد الملك وفى سنة 182هـ- 798م فى عهد هارون وفى العشرين من جمادى الأولى سنة 857-29مايو 1453م تم فتحها ودخولها على يد محمد الثانى الفاتح حيث سميت إسلامبول أى مدينة الإسلام، حيث تم العثور على قبر أبى أيوب الأنصارى وبنى له مسجد جامع وجرت عاده العثمانيين أن كل سلطان يتولى الخلافة يتلقد سيف عثمان الأول فى هذا المسجد .



الخلافة الإسلامية تئول إلى العثمانيين

بعد سقوط بغداد فى قبضة هولاكو خان التترى سنة 656هـ قدم آل العباس إلى مصر وكانت لهم الخلافة بمصر اسما حتى كان آخر ذرية آل العباس محمدالمتوكل على الله فتنازل عن حقه فى الخلافة الإسلامية إلى السلطان سليم العثمانى وسلمه الآثار النبوية الشريفة وهى : البيرق والسيف والبرده وسلمه أيضاً مفاتيح الحرمين ومن ذلك التاريخ صار كل سلطان عثمانى أميراً للمؤمنين وخليفة للمسلمين اسماً وفعلاً [1] .

وكان ذلك عام 1517 أثناء دخول السلطان سليم الأول لمصر وقد قال بهذا الباحث الفرنسى « وسون» فى مؤلفه(**سلسلة عامة للإمبرا طورية العثمانية**) والمؤرخ «وليام ميور» فى كتابه (**دولة المماليك فى مصر**) وأول وثيقة سياسيةمعروفة أطلقت على السلطان العثمانى لقب خليفة واعترفت بسلطته على المسلمين خارج حدود الدولة العثمانية هى المعاهدة الروسية الثانية عام 1774م [2] .

فبعد سقوط الخلافة العباسية فى بغداد على يد التتار فى 20 من المحرم سنة 565هـ -1258م بعد أن لبثت هذه الدولة أكثر من خمسة قرون عاصمة الحضارة الإسلامية لم يكن للإسلام والمسلمين دولة قوية تزود عن حماهم وتدفع الضيم عنهم إلى أن قيض الله للإسلام دولة قوية فتية هي الدولة الإسلامية العثمانية التى آلت إليها الخلافة بعد سقوط الدولة العباسية .

فقامت الدولة العثمانية على أمر الإسلام خير قيام فوحدت أمته وأعلت رايته ونشرت دعوتة وغرست فى قلب أوربا أعلامه ودانت لسلطانها معظم دول أوروبا إما بدخولها فى الإسلام أو إعلان ولائها وخضوعها لدولته بأى صورة من صور الخضوع والولاء هذه الدولة القوية وذلكم الكيان الإسلامى الكبير الذى جعل الصليبيين يولون الأدبار ويلوذون بالفرار لم يسقط بين عشية أوضحاها إنما تحالفت عليه الصليبية مع اليهودية العالمية بروافدها المختلفة من صهيونية وماسونية

---

(1) تاريخ الدولة العثمانية ، محمد فريد ص 194 ، تحقيق إحسان حقى - دار النفائس .
(2) صحوة الرجل المريض. لموفق بنى المرحةص 46 ، مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشر - الكويت .

وعلمانية . يقول الأستاذ موفق بنى المرجة فى كتابة القيم« صحوة الرجل المريض» لقد شاءت الإرادة الإلهية أن تحفظ الأمة الإسلامية فى ظل شجرة الخلافة التى استمرت وارفة الظلال على مدى ثلاث عشر قرناً ونيف رغم تغيير العهود والحكام حتى السقوط فى غفلة منها على أيدى القوى الصليبية والصهيونية الطامعة والحاقدة تحت شعارات الأخاء والحرية والمساواة والأمن والسلام العالمى . وقد ظهر زيف هذه الشعارات وأنها زريعة لاستغلال العالم الإسلامى واستعباده والحيلولة دون وحدته وتجمعه تحت راية الإسلام الذى انتشرفى كل الآفاق فعرف العالم لأول مرة نوعاً من السلام الحقيقى الذى امتد قروناً عديدة عبر الخلافة الإسلامية ولم تفلح الحروب الصليبية وفى القضاء على هذا الدين الذى كان الغطاء الواقى للعالم الإسلامى من شرور الصليبية بأنواعها وحينما ظهرت الدولة العثمانية وفتحت أبواب أوروبا بعد أن تسلقت أسوار القسطنطينية وغزت المسيحية فى عقر دارها وامتد سلطانها فى قلب أوروبا حتى يصل إلى فيينا على يد خلفاء المسلمين من آل عثمان صار مفهوم السلام والأمن العالمى يعرف باسم(المسألة الشرقية) وكان هدف الدول الأوروبية آنذاك لا يتعدى سوى وقف الدعوة الإسلامية التى طرقت أبواب فيينا ووقفت على هضاب روما متطلعة بشوق إلى الفاتيكان ثم تحول الهدف إلى استرداد الأراضى الأوروبية التى تحت سيطرة الدولة الإسلامية وما لبث أن زادت المطامع على كيفية تقسيم(تركة الرجل المريض) وهو ما كانت تطلقه أوربا على دولة الخلافة العثمانية التى طالما نازعت انجلترا وفرنسا طويلاً فى سيادتها على البحار وطرق المواصلات .

وقد أجمع المؤرخون على أن عصر سليمان الأكبر هو العصر الذى بلغت فيه الدول العثمانية أقصى مجدها وعظمتها : ففى مدة ثلاثة قرون تسنى لقبيلة آل عثمان الصغيرة أن تبسط سلطانها ونفوذها على البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود وتمد فتوحاتها من مكة المكرمة إلى بودابست من جهة ومن بغداد إلى الجزائر من جهة أخرى فكان كل من الشاطئين الشمالى والجنوبى للبحر الأسود فى قبضة يدهم وجزء عظيم من مملكة النمسا والمجر الحالية يعترف بسلطانهم وقد دان لهم أيضاً شمال أفريقيا من أطراف بلاد الشام إلى حدود بلاد مراكش [1] .

---

(1) صحوة الرجل المريض. موفق بنى المرحة وتاريخ الدولة العلية العثمانية محمد فريد .

وسائل الصليبية فى القضاء على الخلافة

أولاً: إثارة النعرات العرقية والقومية

ثانياً: إثارة قضية الأقليات

ثالثًا: إثارة الفتن والدسائس.

رابعًا: التبشير والاستشراق.

خامسًا: الماسونية والصهيونية العالمية.

سادسًا: الاتحاد والترقى.

وسائل الصليبية فى القضاء على الخلافة

أخفقت أوروبا الصليبية فى مواجهة دولة الخلافة عسكرياً فعملوا على تفتيتها من الداخل واتخذوا فى سبيل ذلك العديد من الطرق التى من شأنها إثارة القلاقل والفتن والاضطرابات حتى تنهار الدولة ثم تتساقط قواعدها تباعاً دون أن تتحمل أوربا الدخول فى مواجهة عسكرية مع الدولة العثمانية :

أولاً : إثارة النعرات العرقية والقومية.

انضوى تحت لواء الخلافة الإسلامية العثمانية العديد من القوميات والأعراق والجنسيات وانصهر كل ذلك فى بوتقة الإسلام الذى جعل من المؤمنين إخوة مهما تناءت بهم الديار وتباعدت بينهم الأقطار.

فكانت الدولة الإسلامية الواحدة جداراً قوياً وصرحاً منيعاً وصخرة صلدة تحطمت عليها أحلام الصليبية القديمة والحديثة فسول لها شيطانها وأملى لها بحيلة خبثة هى إثارة النعرات القومية(الجاهلية) بين الأمة المتراصة.

فأثاروا النزعة(الطورانية) فى دولة الخلافة وهى دعوة إلى إحياء الآداب والثقافات التى كانت موجودة قبل الإسلام تقول الفاضلة خالدة أديب هانم عن (ضياء ألب) وهو من كبار مؤسسى تركيا الجديدة(كان ضياء كوكب ألب يريد أن ينشىء تركيا جديدة تكون صلة بين الأتراك العثمانيين وبين أسلافهم الطورانيين فقد كان يريد أن يقوم بإصلاح مدنى بواسطة المعلومات التى جمعها عن التنظيمات السياسية والمدنية فى عهد الأتراك قبل الإسلام كان ضياء يعتقد ويؤمن بأن الإسلام الذى وضعه العرب لايصلح لشأننا) [1] وتكونت جمعية (تركيا الفتاة) وكان أعضاء هذه الجمعية ورجالها من الماسون الذين يعملون لإسقاط الخلافة الإسلامية، وفى عهد السلطان عبد العزيز عام 1860م بدأت تركيا الفتاة وأعضائها الماسونيين بإنتاج الأدب المقاوم للسلطنة العثمانية وكان من أعلامها : كوكب ألب الذى أجاد الفرنسية والعربية والتركية وقد تأثر هذا الرجل بعالم الاجتماع « دور كهايم ». وهو من أصل كردى ويسمى أبو القومية التركية وقد عمل فى حقل التعليم فى بداية شبابه فتأثر

---

(1) ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين لأبى الحسن الندوى .

بمدير معهده الذى كان يهودياً كما تأثر ببعض الأشخاص الملحدين وهو أحد منظرى منظمة الشبيبة العثمانيةالسرية وكان من أهدافها العمل على الوصول بالدولة العثمانية إلى نمط من أشكال الحكم الأوروبى والعلمانى وهذه الجمعية تكونت من ستة أعضاء حتى وصلوا بعد عام 1867إلى 245 عضواً، وتقلدوا كثيراً من الوظائف فى دولة الخلافة، وقد نجح أعضاء حزب الاتحاد والترقى وكلهم من اليهود والماسون فى إقصاء الخليفة عبد الحميد خان الثانى عام 1908م فتولى الخلافة بعده محمد رشاد الخامس وآلت مقاليد الحكم فى تركيا إلى أعضاء حزب الاتحاد والترقى الذين سيطروا على مقاليد الأمور فأصبحت الخلافة والخليفة إسما فقط وبإقصاء السلطان عبد الحميد الثانى الذى كان ينتهج نهجاً إسلامياً فى خلافته تكاد تكون الخلافة الإسلامية قد انتهت وإن كان تولى الخلافة بعده ثلاثة خلفاء من آل عثمان هم : محمد رشاد الخامس ووحيد الدين(**محمد خان السادس**) وعبد الحميد خان الثانى (حتى 2 / 3 / 1924) حيث ألغيت الخلافة الإسلامية اسماً ورسماً ذلك أن السلطان عبد الحميد كان يحارب العصبية القومية بكل جهده فبسعوطه برزت العصبية القومية التى حاربها عبد الحميد واتجهت سياسةالاتحادين إلى العمل على إحياء القضية الطورانية وتمجيد الغزاة والفاتحين من أسلافهم الوثنيين وتجاهل الحقبة الإسلامية[1] شأن الذين يدعون الفرعونية وتمجيد فرعون وهامان بدلاً من أبو بكر وعمر وعثمان.

كما أثاروا نزعة القومية العربية لأول مرة منذ أن محاها وأزالها محمد ﷺ واقتلع جذورها من النفس العربية ووصفها بإنها (نتن) ودعوى من دعاوى الجاهلية المأفونة ففى غزوة بنى المصطلق بينما المسلمون على الماء يستقون وكان مع عمر بن الخطاب غلام أجير له من بنى غفار يقود له فرسه اسمه جهجاه فتزاحم وسنان بن وبر الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء فتضاربا فصرخ الجهنى يا معشر الأنصار وصاح الغفارى يا معشر المهاجرين، فاجتمع الفريقان وكادوا يقتتلون فذهب إليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وقال : «أبدعوى

(1) الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر، د. محمد حسين ص 96جـ 2.

الجاهلية . وأنا بين أظهركم ؟ دعوها فإنها منتنة [1] ويقول ﷺ « إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة[2] الجاهلية وفخرها بالآباء لينتهين أقوام عن فخرهم بالآباء أو ليكونن أهون عند الله من (الجعلان) [3] التى ترفع بأنفها النتن » . يقول جورج انطونيوس فى كتابه (يقظة العرب) « **إن أول عمل منظم فى حركة القومية العربية بدأ عام 1875م بقيام خمسة شباب من الدين تلقوا العلم فى (الكلية السورية البروتستانتية) فى** بيروت بشكيل جمعية سرية وكانوا جميعاً من النصارى إلا أنهم أدركوا ضرورة إشراك المسلمين والدروز معهم فاستطاعوا بعد مدة من الزمن أن يدخلو اثنين وعشرين عضواً ينتمون إلى الطوائف المختلفة»[4] .

وتهدف هذه الجمعية بالدعوة إلى القومية العربية الانفكاك من الرابطة الإسلامية بصفة عامة ومن الانتماء إلى دولة الخلافة الإسلامية ككيان سياسى إسلامى ينضوى تحت لوائه العالم العربى بصفة خاصة وكانت الشام هى القنطرة التى عبر عليها الفكر القومى المعادى للرابطة فغالبية مفكريه ومنظريه من نصارى الشام والقوميين بمختلف نزعاتهم يقفون تحت مظلة الفكر القومى الذى يجعل العروبة هى المحور الذى يرتكزون عليه ويلتقون عند هدف التخلص من الإسلام كنظام حكم ودولة ممثلة فى الخلافة الإسلامية العثمانية فعملوا على القضاء عليها بشتى الوسائل يقول ميشيل عفلق مؤسس حزب البعث العربى « **والعرب اليوم لايريدون أن تكون قوميتهم دينية لأن الدين له مجال آخر ليس هو الرابطة للأمة بل هو على العكس قد يفرق بين القوم الواحد وقد يورث- حتى ولو لو يكن هناك فروق أساسية بين الأديان - نظرة متعصبة وغير واقعية**»[5] .

«وهذه النزعة الوطنية والقومية جعلت المسلم يفكر فى وطنه قبل عقيدته ويقدم الكافر إذا كان من عنصره أو وطنه على المسلم من عنصر آخر أو فى بلد آخر وبرزت نزعات جاهلية تتنادى بالقومية العنصرية والوطنية الإقليمية لا بالإخوة الإسلامية بل

---

(1) السيرة النبوية : الشيخ محمد أبو شهبة جـ2ص 254 .

(2) عبية : عصبية .

(3) الجعلان : حشرة قذره مثل الخنفساء .

(4) يقظة العرب : جورج انطونيوس نقلاً عن الفكر القومى !د . مصطفى الفقى .

(5) ميشيل عفلق وآخرون حول القومية والاستراكية ص17 نقلاً عن تجديد الفكر القومى الدكتور مصطفى الفقى .

أصبحت الأوطان والقوميات وكأنها أوثان يعبدها الناس مع الله»[1].

ويقول المفكر الإسلامى الجزائرى مالك بن نبى : « لقد تعرض مبدأ الإخوة الإسلامية لمقاومة مختلف النزعات القومية التى ليست سوى نزعات حزبية يتكالب زعماؤها على مصالحهم» .

وإذا كانت القوى الخفية للصليبية قد نجحت فى إثارة النعرة الطورانية فى تركيا والنعرة العربية فى البلاد العربية فنادى الترك بالعودة إلى الطورانية باعتبارها أصلهم القديم ونادى العرب بالقومية العربية لينسلخوا من (دولة الخلافة) التى دان لسلطانها العرب منذ القرن السادس عشر الميلادى فظل عملاء الصليبية ينتهزون كل فرصة سانحة للثورة على دولة الخلافة الإسلامية فيعلنون تمردهم فى أعقاب كل حرب مع أوروبا تخرج منها دولة الخلافة مهزومة وكان زعماء الحركة القومية ينادون بالتلخص من دولة الخلافة وإنشاء مملكة عربية تنتظم أقطارها المستقلة فى اتحاد برأسة زعيم دينى كبير وكان الشريف (حسين) حاكم (مكة) فى ذلك الوقت من أكثر العرب طموحاً إلى هذه الزعامة ولكن هذه الحركة باءت بالفشل فى حياة السلطان عبد الحميد الذى كانت سياسته الإسلامية تقوم على التقرب للعرب وإلانة جانبه ليجمعهم تحت راية الخلافة فى كتلة واحدة تقف فى وجه مطامع الغرب الصليبى .

لكن السلطان عبد الحميد لم يجد بداً من التصدى لزعماء هذه الحركات الهدامة فى أواخر القرن التاسع عشر وكان معظمهم من الشام - فاضطروا إلى الفرار إلى مصر حيث كان الانجليز يشجعون ويساندون كل متمرد على الدولة العثمانية ويوفرون الحماية لكل خارج عليها وذهب فريق منهم إلى فرنسا فوجدوا كل عون وتشجيع وبدأ الذين نزلوا فى مصر نشاطهم بتأسيس (الجمعية اللامركزية) ونشطوا فى الدعوة إلى فكرة (القومية العربية) بالكتابة فى الصحف المعارضة للخلافة الإسلامية ولم يكن الذين ذهبوا إلى فرنساً أقل نشاطاً منهم فقد ألف أحد زعمائهم -وهو نجيب عازورى- كتاب (يقظة الأمة العربية) وطبعه بالفرنسية فى باريس عام 1905م وأنشأوا (الجمعية الوطنية العربية) فى باريس عام 1985م

---

(1) الحلول المستوردة وكيف جنت علينا . الشيخ يوسف القرضاوى .

وكان أول أعمالها أن أذاعت عام 1906م منشوراً موجهاً إلى الدول العظمى تبين فيه أغراض العرب وغايتهم وهى تتلخص فى : امبراطورية عربية يرأسها سلطان عربى ذو حكومة دستورية حرة بينما تكون ولاية الحجاز مملكة يحكمها ملك يجمع بين كونه ملكاً وخليفة لجميع المسلمين ولذلك تنحل حسب زعمهم والعقدة الكبرى فى الإسلام وهى التفريق بين السلطتين المدنية والدينية) .

ثم عقدوا مؤتمراً عربياً حضره مندوبون من الجمعية اللامركزية فى مصر ورأسه أحدهم وهو عبد الحميد الزهاوى . ووضعت الحكومة الفرنسية الجمعية الجغرافية تحت تصرفهم ليعقدوا فيها اجتماعاتهم[1] .

يقول الشيخ محمد الغزالى فى كتابة« **حقيقة القومية العربية** » (إن القومية العربية بهذا المفهوم الكفور لاوجود لها إلا فى أذهان بعض المارقين الآثمين . وهى - بهذا المفهوم- خدعة صليبية لختل الجماهير عن دينها الحبيب .

نعم، هى بهذا المفهوم «عملة» زيفتها « أوروبا» الحاقدة على الإسلام، وروجتها بين قصار النظر ، أو ضعاف اليقين ،لتجعل منها بديلاً تلتف حوله الجماهير ، بدل أن يلتفوا حول « إسلامهم» ويتعلقوا بأهدابه .

وهذا الذى نقوله يعرفه كثيرون من الخبراء بالسياسة الغربية تجاه الشرق» [2] .

إن العرب لولا الإسلام الذى أعلى شأنهم ورفع قدرهم لأصبحوا قطاع طريق وقراصنة البحار لكن نفراً من دعاة الجاهلية يريدون للعرب أن يكونوا هكذا أن ينسلخوا من هدى الإسلام إلى ضلالات الجاهلية القديمة .

ويريدون لتركيا أن تعيش منسلخة عن الإسلام وتعود إلى العصبية (انطورانية) كقومية والعلمانية كنظم سياسية) .

ثانياً : إثارة قضية الأقليات :

عاش أصحاب الأديان الأخرى فى ظل دولة الخلافة العثمانية آمنين على دينهم

(1) الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر للدكتور محمدمحمد حسين الجزء الثانى صفحة 94 وما بعدها، مكتبة الآداب بالقاهرة .

(2)حقيقة القومية العربية، محمد الغزالى ص 125الناشر مكتبة دار العروبة .

وأموالهم وأعراضهم وتقلدوا المناصب المتنوعة فيها إلا أن الأوروبيين استغلوا وجود قضية هؤلاء بزعمهم أن النصارى فى دولة الخلافة هضمت حقوقهم ورفعوا شعار « مشاكل الأقليات» ذريعة للتدخل فى شئون الدولة فعقدوا الإتفاقيات والمعاهدات التى تحولت إلى حقوق مكتسبة فى صورة الامتيازات الأجنبية التى تحمى المخربين والجواسيس من رعايا الدول الأوروبية تحت ستار تلك المعاهدات

وكانت فرنسا راعية المؤتمر العربى بباريس وحركت الفتن والثورات الطائفية وغرست إرسالياتها خنجر الأقليات فى صدر الدولة الإسلامية[1] .

ثالثاً : الفتن والدسائس :

أخذت جراثيم الفتن تنخر فى جسد هذا الكيان الكبير وتفتت عظامه وتهز عرش الخلافة ذلك أن حكم ولايات الدولة العثمانية المترامية الأطراف المختلفة الأديان والمذاهب والاجناس يحتاج إلى يقظة دائمة ومستمرة خاصة أن الدول الصليبية الأوروبية التى قلصت الدولة العثمانية نفوذها وقضت على سلطانها كانت هذه الدول تراقب الموقف وتتربص الدوائر وتتحين الفرصة المناسبة لتوجية الضربة لدولة الخلافة فى الوقت الذى ضعفت فيه الإدارة العثمانية بعد السلطان سليمان الذى بلغت فيه الدولة العثمانية أوج عظمتها ومجدها إتساعاً وقوة عسكرية وإدارية وكان ثمرة جهود الخلفاء السابقين وحسن إدارتهم للبلاد التابعة للدوله والعناية بالجيش حتى يبقى على أهبة الاستعداد لمواجهة أى طارىء وصد أى عدوان وبإرضاء الشعوب التابعة لها [2] .

رابعاً : التبشير والاستشراق :

إن الصليبية لم تتوانى لحظة واحدة فى الكيد للإسلام والمسلمين، واتخذت فى سبيل بلوغ مراميها وتحقيق أهدافها وسائل عديدة منها العلنى كالحرب ومنها الخفى ومنها المقنع تحت ستار الإصلاح والتعليم والطب مثل التبشير والمعونات .

ولقد قدر الله للأمة الإسلامية أن تكون فى رباط دائم وجهاد مستمر وقد تنوع الجهاد الأن ففى الماضى كان طابع المواجهة العسكرية هو الغالب الأعم ولما كانت

(1) صحوة الرجل المريض مرجع سابق ص 49.
(2) المرجع السابق ص 43 بتصرف وإضافة .

القوى الصليبية قد منيت بالهزيمة فى هذه المواجهات فقد غيرت مسارها إلى أسلوب آخر هو إضعاف الدولة الإسلامية تحت مسميات وأهداف ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب من ذلك التبشير الذى بدأت كتائبه تتوافد على العالم الإسلامى منذ القرن الرابع عشر الميلادى على شكل موجات من الراهبات والرهبان : الدومنيكان والفرنسيسكان بدعوى إنشاء المدارس والمستشفيات فكانت الإرساليات الكاثوليكية أول طلائع التبشير فى الشام وأول دعوة للاستشراق كانت على لسان البارون « دوويتر » عام 1664 الذى طالب بتأسيس مدرسة لتعليم التبشير يتعلم طلابها اللغات الشرقية .

وأنشأ (اليسوعيون) العديد من المدارس فى «بيروت) عام 1839م و(غزير) عام1843م وزحله 1844م ودمشق 1872م وحلب 1883م ثم انتقلت مدرسة (غزير) إلى بيروت عام 1875 وتحولت إلى جامعة القديس يوسف (اليسوعية) .

وفى عام1877م قام القس الأمريكى « صموئيل ذويمر » بأول زيارة له للخليج العربى حيث أسس أول إرسالية أمريكية وقد أنشأ فى البحرين عام 1891م أول مركز تبشيرى تحت ستار طبى ومنه انطلقوا لإنشاء فروع للإرسالية فى مسقط ودبى والشارقة .

ثم أخذت الإرساليات تشد الرحال إلى بلاد الأناضول مستهدفة استانبول عاصمة الخلافة وأزمير الثغر الإسلامى الكبير وكانت الإرساليات الأمريكية فى المقدمة رغم تأخرها عن إرساليات اليهود الانجليز الذين استهدفوا استانبول وأزمير وسالونيك ، وهكذا أصبحت الإرساليات تغطى جميع دول الخلافة الإسلامية كلها .

ومنذ عام 1846م أصبحت الأستانة عاصمة دولة الخلافة مركزاً لأعمال المبشرين ووكراً أميناً لنشاطهم ولم يكن اختيار المبشرين لها كمركز رئيسى لنشاطهم مجود مصادفة بل لأنها محط أنظار المسلمين وعاصمة أمير المؤمنين وفيها بيضة الإسلام ولذا فقد حرصت الإرساليات التبشيرية للتواجد فيها بشكل أوبآخر مما يساعدها على رصد الحركات السياسية ومتابعة التطورات أولاً بأول تحت ستار الخدمات الطبية والتعليمية .

جاء فى تقرير لرئيس إرساليات التبشير الألمانية عام 1900م: «أن نار الكفاح بين الصليب والهلال لا تتأجج فى البلاد النائية ولا فى مستعمراتنا فى آسيا.

وبما أن الشعوب الإسلامية تولى وجهها نحو الأستانة عاصمة الخلافة فإن كل المجهودات التى نبذلها لا تأتى بفائدة إذا لم نتوصل إلى قضاء لبانتنا فيها ويجب أن يكون جل ما تتوخاه جمعية إرساليات التبشير الألمانية هو بذل مجهودها نحو هذه العاصمة وهى قلب العالم الإسلامى.

وكان اهتمام المبشرين بالمدارس الداخلية للبنات لأن التبشير فيها أكبر أثراً منه فى غيرها ونشط المبشرون الأمريكيون فى فتح المدارس وأهم عمل قاموا به افتتاح الكلية السورية البروتستينية عام1866 فى بيروت وأصبحت الآن « جامعة بيروت الأمريكية» كما أنشئوا الجامعة الأمريكية فى مصر. وقد قامت هاتين الجامعتين بدور كبير فى تخريج أجيال من الشباب العربى المتأثر بالثقافة الأمريكية والحياة الأمريكية.

كما قامتا بدور كبير فى تشوية الفكر الإسلامى والحضارة الإسلامية وخدمة الأهداف الإستعمارية، ويلاحظ أن الجمعيات التبشيرية التى انتشرت فى الولايات العثمانية معظمها انجليزية وفرنسية وأمريكية وتسلل النفوذ البريطانى عن طريقها وأصبحت هى الموجهة للحركات القومية والمسيطرة على توجية المتعلمين من المسلمين العرب والأتراك وكانت تستهدف :

1- فصل العرب عن الدولة العثمانية.

2- إبعاد المسلمين عن رابطة الإسلام.

ولقد كان مؤتمر إرساليات التبشير الذى عقده المبشرون فى القاهرة أول مؤتمر من نوعه وجاء تنفيذاً لدعوة كبيرهم القس.

صموئيل زويمر رئيس إرسالية التبشيرية فى البحرين آنذاك [1] وانعقد هذا المؤتمر فى القاهرة فى منزل (الزعيم أحمد عرابى) بباب اللوق فى 4أبريل عام 1906 وقد

(1) صحوة الرجل المريض. موفق بنى المرجة ص 165-173 .

حضرة مندوبين من إرساليات التبشير الموجودة فى العالم الإسلامى وقد بلغ عدد المندوبين 62 مندوباً بين رجال ونساء وتناولت أبحاثهم فى المؤتمر عدة مواضيع نوجزها فيما يلى :

1- إعداد ملخص إحصائى عن عدد المسلمين فى العالم .

2- الإسلام فى أفريقيا .

3- الإسلام فى الدولة العثمانية

4- الإسلام فى الهند .

5- الإسلام فى فارس

6- الإسلام فى الملايو .

7- الإسلام فى الصين .

8- النشرات التى ينبغى إذاعتها بين المسلمين المتنورين وبين المسلمين العوام .

9- التنصير .

10- الارتداد .

11- وسائل إسعاف المتنصرين المضطهدين .

12- شئون نسائية إسلامية .

13- تربية المبشرين بينهم .

14- كيفية التعليم .

ويقرر دانيال بلس : « إن الإسلام هو العقبة القائمة فى طريق التقدم التبشيرى فى أفريقيا» .

وكان النشاط التبشيرى فى فلسطين يعمل تحت شعار «السياسة والتنقيب عن الآثار والتجارة وأعمال الخير» وكانت جهود هذه الإرساليات التبشيرية طليعة

للإحتلال الأجنبى الذى تعرضت له البلاد العربية التى سلخت عن الدولة العثمانية بعد الإجهاز على الخلافة الإسلامية ولعبت دوراً ملموساً فى إزكاء الفتنة والثورات الطائفية ولاسيما فى بيروت ودمشق فضلاً عن العديد من البلدان الإسلامية وكانت وراء انتشار العديد من الأفكار والمذاهب والأندية والجمعيات المشبوهة أمثال : شهوديهوه ، والماسونيين، والروتاريين، والليونز(الأسود) والبهائين والقاديانيين[1] .

وهكذا لعب التبشير والمبشرون الدور الرئيسى لتربية كوادر فى سائر البلاد الإسلامية كانوا وراء كل فتنة وبلية أصابت العالم الإسلامى وعلى رأسها الدور الفاعل فى القضاء على الخلافة ومازال التبشير موجودا فى كثير من بلاد العالم الإسلامى ينشر الدسائس والفتن الطائفية والقبلية مثلما يحدث فى السودان وأندونيسيا والصومال وغيرها من الدول الإسلامية [2] ولمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع الخطير أنصح بمطالعة كتاب «**الغارة على العالم الإسلامى**» الذى قام بترجمتة حرفياً العلامة محب الدين الخطيب ومساعد اليافى عن المستشرق الفرنسى «**ا.ل. شاتلية**» رئيس تحرير مجلة «**العالم الإسلامى**» الفرنسية. وقد أوصى المفكر الإسلامى الكبير «شكيب أرسلان» كل مسلم على ضرورة إقتنائه فى مكتبته كان ذلك الكتاب بمثابة ناقوس الخطر الذى علا ضجيجه بين أمة عز فيها السمع والفهم.

قد يوقظ الطبل النيام إذا غفو ... فمن لك بالطبل الذى يوقظ الموتى

خامساً : الماسونية والصهيونية العالمية :

لم تستطع الجيوش الأوروبية أن تلحق بدولة الخلافة هزيمة عسكرية تؤدى إلى اسقاطها والقضاء عليها فى المجتمع الدولى فاستعانت هذه القوى بالصهيونية العالمية وربيبتها الماسونية العالمية وجمعية(تركيا الفتاة) وأصبح هذا الثالوث العالمى رأس حربة استخدمتها الدول الأوروبية فى القضاء على الخلافة وقد تصدى السلطان عبد الحميد الثانى لكل هذه المؤامرات بقوة وصلابة منذ آلت إليه الخلافة سنة 1876إلى

---

(1) صحوة الرجل المريض ص 165 مرجع سابق ومؤلفنا ماذا تريد الصليبية الحديثة؟ .
(2) ماذا تريد الصيبية الحديثة ، دار النشر والتوزيع- القاهرة.

أن تم عزله سنة 1909م بمؤامرة دنيئة دبرها هذا الثالوث الذى يباشر نشاطه قبل ذلك من سنين عديدة وتولى بعده ثلاثة خلفاء حتى تم القضاء على الخلافة نهائياً ومحوها من الوجود على يد اليهودى الماكر مصطفى كمال أتاتورك عام 1924م.

ولمزيد من توضيح الحقائق نقول:

إن هذا الثالوث استطاع أن ينفد إلى عقول الكثير من ضباط الجيش العثمانى وبرزت قوته فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى الذى تولى الخلافة عام 1876م.

« وأطماع الدولة الغربية فى الدولة العثمانية قد بلغت أوجها فعمل السلطان عبد الحميد على تجميع القوى الإسلامية المبعثرة فى العالم فى مواجهة أطماع الدول الكبرى.

هذا فى مجال السياسة الخارجية أما فى مجال العمل الداخلى فكان عليه أن يواجه جماعة« تركيا الفتاة» وهى واحد من الثالوث الذى يعمل للقضاء على الإسلام ودولته وقد بدأت هذه الجمعية عملها عام 1890م فى الخفاء إلا أن السلطان عبد الحميد كان دائم الترصد لأعضاءها وكان المثل الأعلى لها أوروبا.

وأصبح لأعضائها النفوذ والغلبة فى الدولة العثمانية(الرجل المريض) حتى أنهم قاموا بعزل السلطان عبد العزيز ونصبوا السلطان مراد الخامس الذى كان صديقاً حميماً لولى عهد انجلترا إذ ذاك وعن طريق ولى العهد هذا انضم السلطان مراد إلى الماسونية كما كان مراد على صلة قوية بأعضاء جماعة « تركيا الفتاة» التى أخذت أسماء مختلفة خلال تطورها مثل(العثمانيين الجدد) و(الاتحاد والترقى) وبعد 93 يوماً من توليه الخلافة قامت جماعة «تركيا الفتاة» المهيمنون على الحكم بعزله لإصابته بالجنون فتولى عبد الحميد الحكم من بعده ولم يستجب لضغوط هذه الجماعة فقاومهم وحاول القضاء على نفوذهم[1].

سادساً: الاتحاد والترقى :

(الاتحاد والترقى) هو أول حزب سياسى فى الدولة العثمانية كان ظهوره عام

(1) مذكرات السلطان عبد الحميد، تقديم وترجمة الدكتور محمد حرب، الناشر دار القلم، بيروت.

1890م وكان سرياً مكونا من خلايا طلبة الحربية والطبية العسكرية وكان تأسيسه يهدف إلى معارضة حكم عبد الحميد وفى عام 1879م تم إكتشافة فنفى العديد من أعضائه وهرب البعض إلى باريس حيث بدأ نشاطهم فمن 4 إلى9 فبراير عقد فى باريس موتمر للأحرار العثمانيين حضرته جميع العناصر المعارضة لعبد الحميد وعلى رأسهم « الاتحاد والترقى » وكان من أهم قرارته تقسيم دولة الخلافة إلى حكومات مستقلة استقلالاً ذاتياً على أساس عرقى قومى.

وطالب المؤتمرون من الدول الأوروبية التدخل لإنهاء حكم السلطان عبد الحميد. وقد أنشأ هذا الحزب فروعاً له فى داخل البلاد العثمانية فانضم إليه معظم ضباط الجيش الذين تأثروا بفكرة الحزب ونتيجة لنشاط هذا الحزب انسلخت عن دولة الخلافة بعض الدول مثل بلغاريا وكريت واستقلت البوسنة والهرسك.

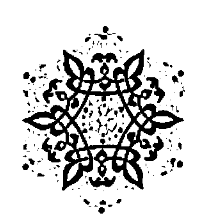
يقول السلطان عبد الحميد الثانى فى مذكراتة: « لابد للتاريخ يوماً أن يفصح عن ما هية الذين سموا أنفسهم « **الأتراك الشبان**» أو« **تركيا الفتاة**» وعن ماسونيتهم استطعت أن أعرف من تحقيقاتى أن كلهم تقريباً من الماسون وأنهم منتسبون إلى المحفل الماسونى الانجليزى وكانوا يتلقون معونه مادية من هذا المحفل ولابد للتاريخ أن يفصح عن هذه المعونات وهل كانت معونات سياسية أم غير سياسية؟ »

انتهى

وفى 13 أبريل 1909م دبرت عناصر من الجيش العثمانى المنتمين إلى الاتحاد والترقى والماسونية واليهودية حادثة عرفت باسم حادث 31 مارس ثم نسبوها إلى السلطان عبد الحميد وقالوا: إنه أراد ثورة العناصر الرجعية ضد جمعية الاتحاد والترقى واتخذ الجيش هذا ذريعة للتحرك لعزل السلطان عبد الحميد الثانى وندبوا لإبلاغه بقرار العزل وفدا مكونا من أربعة أشخاص لم يكن منهم تركى واحد ولا عربى وإنما كان على رأس الوفد يهودى والثلاثة الآخرون: أرمنى وألبانى، واليهودى هو إيمانويل قراصوا الذى لعب فيهابعد الدور المشئوم فى الاحتلال الإيطالى لليبيا.

وتنازل السلطان عبد الحميد عن عرش الخلافة لأخيه السلطان محمد رشاد فى 27 أبريل 1909م وكان على السلطان عبد الحميد أن يركب هو

وأسرته القطار إلى منفاه فى (**سلانيك**) وهى مدينة يغلب عليها الطابع اليهودى وكان مقر منفى السلطان عبد الحميد فى هذه المدينة فى قصر يمتلكه يهودى يدعى (**الاتينى**) إمعانا فى إذلال عبد الحميد[1] .



---

(1) مذكرات السلطان عبد الحميد، تقديم وترجمة الدكتور محمد حرب ص 115,56 , 116الناشر دار القلم، بيروت

الخليفة عبد الحميد الثانى صمود وإنجازات ومأساة

خلع عبد الحميد مقدمة لاغتصاب فلسطين

تصدى عبد الحميد للحركات اليهودية .

إنشاء الخط الحديدى بين الشام والحجاز

الخليفة عبد الحميد الثانى
صمود وانجازات ومأساة

عبد الحميد من أعظم الخلفاء العثمانيين تولى الخلافة عام 1876وكانت الدول العثمانية وقتئذ أحوج ما تكون إلى مثل هذا الرجل المسلم القوى الإيمان الوافر العقل الذى قال عنه الزعيم الألمانى بيسمارك : « إن 90% من العقل موجود فى رأس السلطان عبد الحميد الثانى 5% فى رأسى والخمسة الباقية فى رءوس باقى السياسيين هكذا قال الزعيم الألمانى واصفاً إعجابه بالسلطان [1] تولى الخلافة وقد اشتعلت فيها الفتن والدسائس والمؤامرات فكان والده السلطان عبد الحميد يعمل على إضفاء الرسمية على حركة التغريب التى يتزعمها أعضاء جمعية تركيا الفتاة الذين أصبح لهم النفوذ والغلبة فأمر بتبنى الدولة لهذه الحركة فأصدر عام 1856,1854 فرمانين وبهما بدأ فى الدولة العثمانية ما يسمى بعهد (**التنظيمات**) وهو مصطلح يعنى تنظيم الدولة وفق المنهج الغربى لا الإسلامى حيث تم استبعاد العمل بالشريعة الإسلامية واستلهام الروح الغربية فى الحياة ودفع عجلة التغريب الذى ترتب عليها تغيير نظام الحكم فى الدولة ودفع هذا النظام مشيخة الإسلام إلى الدرجة الثانية من حيث الاعتبار والنفوذ ثم شل عملها وفى هذا النظام كان الصدر الأعظم والوزراء يقاسمون السلطان السلطة .

وكان أساس الحكم العثمانى قبل ذلك يستند إلى ثلاثة دعامات رئيسية هى : الخليفة ، مشيخة الإسلام، الديوان وكان يأتمر بأوامر السلطان الخليفة وتقوم مشيخة الإسلام بدور الشورى له وكان الديوان مساعداً للخليفة فى تسيير وإدارة أمور الدولة .

كان عبد الحميد يرى أن الحروب الصليبية ضد الدولة العثمانية مستمرة حتى ولو أخذت شكلاً سرياً لذلك كان يعمل على توحيد العناصر المتعددة فى الدولة من ترك وعرب وأكراد وغيرهم تحت راية الإسلام حتى يمكن الصمود أمام الغرب الصليبى وفى معرض حديثه عن علاقة الدولة العثمانية بانجلترا التى تضع العراقيل أمام

---

(1) مجلة العربى الكويتية العدد 551شبعان 1425هـ- أكتوبر 2004م مقال بقلم : ناصر عراق صفحة 132.

الوحدة الإسلامية يقول عبد الحميد الثانى فى مذكراته : « الإسلام والمسيحية نظرتان مختلفتان ولا يمكن الجمع بينهما فى حضارة واحدة» لذلك يرى أن الانجليز قد أفسدوا عقول المصريين ، لأن بعض المصريين يعتقد أن سلامة مصر ستأتى من الانجليز .

وأن هذا البعض أصبح يقدم القومية على الدين ويظن أنه يمكن مزج حضارة مصر بالحضارة الأوروبية وانجلترا تهدف من نشر الفكر القومى فى البلاد الإسلامية إلى هز عرشى وأن الفكر القومى قد تقدم تقدما ملموسا فى مصر والمثقفون المصريون أصبحوا من حيث لا يشعرون ألعوبة فى يد الإنجليز»[1] .

هذه الكلمات لا تصدر إلا عن رجل محنك مخلص للإسلام والمسلمين غاية الإخلاص وكنت حينما أطالع مذكراته وهو فى منفاه وجدتنى أحدث نفسى وأقول (والله لكأنى بهذا الخليفة يبصر بنور الله) وهو يقول هذه الكلمات التى تعبر عن حال المسلمين اليوم .

ومع هذا الخليفة الملهم وهو يتحدث عن وحدة العالم الإسلامى التى هى أمل المسلمين اليوم حيث يقول : (يجب تقوية روابطنا ببقية المسلمين فى كل مكان ، يجب أن نقترب من البعض أكثر وأكثر فلا أمل فى المستقبل إلا بهذه الوحدة .

ووقتها لم يحن بعد لكنه سيأتى ، سيأتى اليوم الذى يتحد فيه كل المؤمنين وينهضون فيه نهضة واحدة ويقومون قومة رجل واحد وفيه يحطمون رقاب الكفار)[2] .

ثم يتحدث عن علاقة الإسلام بالمدنية الغربية فيقول : «ليس من الصواب القول بأنى ضد كل جديد يأتى من أوروبا لكن العجلة من الشيطان ويقابل العجلة الهدوء والاعتدال . يجب أن نضع نصب أعيننا ما تفضل الله به علينا . . . ليس الإسلام ضد التقدم لكن الأمور القيمة يجب أن تكون طبيعية وأن تأتى من الداخل وحسب الحاجة إليها ولا يمكن أن يكتب لها النجاح إذا كانت على شكل تطعيم من

(1) مذكرات السلطان عبد الحميد مرجع سابق ص22 ,23 .
(2) المرجع السابق ص24,23,22 .

الخارج»ولقد فعل السلطان عبد الحميد ما قاله فاستفاد من الحضارة الغربية ما ينفع الأمة الإسلامية وأعرض عن كل شيء يتعارض مع النظم والإخلاق الإسلامية .

فأقام كلية للعلوم وكليات للآداب والحقوق وكلية للعلوم السياسية وأكاديمية للفنون الجميلة ومدارس عليا للتجارة والزراعة والطب البيطرى والغابات والتعدين والتجارة البحرية والمعلمين العليا ومدارس متوسطة متخصصة مثل مدارس الصم والبكم والعمى وأقام مدرسة ثانوية فى كل ولاية وأقام مدارس عليا على مستوى الجامعات فى كل من دمشق وبغداد وسلانيك وقونية[1] .

وأرسل البعثات العلمية إلى كل من فرنسا وألمانيا كما أقام مؤسسة حديثة للمياة والصرف وغرف للصناعة والتجارة والزراعة وتأسيس البلديات وبناء الغواصات وأقام خطوط البرق (التلغراف) وإنشاء إدارة للبريد ومد السكك الحديدية وإدخال الترامواى .

والاهتمام بتدعيم المواقع العسكرية فى الدردنيل مما ساعد على انتصار دولة الخلافة على الأساطيل المغيرة فى موقعة الدردنيل المشهورة فى الحرب العالمية الأولى ودمر الحلفاء ومنعها من اقتحام الدردنيل[2] .

ووقف حجرة عثرة وصخرة قوية ضد مطامع اليهود فى فلسطين على النحو الذى أوردناه فى هذا الكتاب ولو قدر الله للسلطان عبد الحميد البقاء فى الخلافة لما استطاع اليهود اغتصاب فلسطين ولكن هذا قدر الله .

فلقد دبر اليهود مؤامرة دنيئه لعزل عبد الحميد عن طريق أيوب صبرى وأعضاء حزب الأتحاد والترقى وقد أعطاه اليهودى قرة صوه مبلغ 400,000 أربعمائة ألف ليرة ذهب لصرفها على أحداث 31مارس التى ألصقوها بالسلطان عبد الحميد مما أدى إلى عزله وهى عبارة عن حركة تمرد ضد مجلس المبعوثان دبرها اليهود والماسون وألصقوها بالسلطان عبد الحميد مما أدى إلى عزله ونفيه وقال اليهودى الخبيث قرة صو« إن الاتحاديين نفذوا بأربعمائة ألف ليرة ما لم ينفذه عبد الحميد بخمسة ملايين» بمعنى أنه رفض إعطائنا فلسطين نظير خمسة ملايين وبعزله الذى دفعنا من أجله أربعة آلاف ليرة سنأخذ فلسطين .

---

(1) إحدى الإقاليم فى تركيا .

(2) مذكرات السلطان عبد الحميد . دكتور محمد حرب ص 26 وما بعدها .

وإمعاناً فى إزلاله لوقوفه ضد اليهود ومحاولاتهم إيجاد وطن قومى لهم فى فلسطين أن الذين قاموا بإبلاغه بقرار العزل كان من بينهم(قرة صوه) الذى ذهب مع الوفد لمقابلة عبد الحميد بشأن السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين وإقامة دولة يهودية فيها فطرد هم السلطان عبد الحميد وتماديا فى إذلاله نفوه هو وأسرته فى قصر يملكه أحد اليهود يدعى الآتينى فى سلانيك وعومل أسوأ معاملة هو وأسرته .

وشرعوا فى قتله وحاول الضباط المكلفون بحراسة القصر التعرض لابنته الأميرة شادية وصادروا أمواله ونهبوا قصره وتعرض هو وأسرته للجوع بمنع الطعام عنهم.

وهكذا يتعرض ملايين المسلمين للإهانة والإذلال فى شخص إمامهم وخليفتهم.

تقول الأميرة شادية بنت السلطان الخليفة عبد الحميد الثانى فى مذكراتها التى دونتها « ليلة عيد الأضحى » : دعا ضباط الحرس أغوات الحريم الموجودين معنا وعن طريقه أرسلوا إلى هذا الخبر : (وضعنا- نحن ضباط الحرس- فى هذه الليلة غازا تحت غرفة الأميرة شادية- وهى كبرى أخواتها كما أن المدمرة«سعودية» التى تقف فى البحر ستصب نيرانها الليلة على القصر كله لتدمره وسيحرق أبوها وإننا نحن الضباط الحرس نرثى للأميرة فهى شابه، وفى ريعان الشباب ، فلتأت الأميرة إلينا فى منتصف الليل مع أخواتها ونحن كضباط سنحميهم» فهمنا كم كان هذا خطة قذرة من هؤلاء الضباط أما أغا الحريم فقد ظن أن هذا الأمر حقيقة وكان يشعر بحزن عميق تجاه الكارثة التى يمكن أن يصاب بها والدى

أخطرت هذا الأغا بأن يذهب إلى هؤلاء الضباط ويبلغهم جوابى التالى : « أن ما يمكن أن يتعرض له والدنا جلالة السلطان من قدر فنحن فيه شركاؤه . وإننى واحدة من الذين يقدرون جيدا نوعية الذين نحن فى قبضتهم فى هذا السجن خاصة وأنى فتاة لم أعرف الخوف أبدا فى حياتى وليس هناك إمكان قط لقبول اقتراحهم هذا، اذهب إليهم وأخبرهم بما قلته[1] .

---

(1) الرؤية الإسلامية للقضية الفلسطينية المستشار مصطفى الشقيرى الناشر المكتب المصرى الحديث ص115 وما بعدها .

كان للشاعر الإسلامى الكبير أحمد محرم قصب السبق فى تسجيل هذه الأحداث التى مرت بها دولة الخلافة .

والذى يقرأ ديوان أحمد محرم يلمس عاطفته الإسلامية المتأججة المتوقدة نحو الخلافة الإسلامية إيماناً منه بأنها عصام الأمة الإسلامية وحبلها المتين وبهذا الإيمان أرسل مدائحه فى خليفة المسلمين ووالى قصائده فى تسطير انتصارات الدول عند الانتصار والتوجع لها عند الهزيمة والإنكسار ولقد حظى السلطان عبد الحميد بقصائد رائعة من روائع أحمد محرم ذلك أن السلطان عبد الحميد كما ظلم سياسياً، ظلم أدبياً من كاتبى هذا العصر« حيث تواترت أقلام جاهلة أو مغرضة على ثلبه بغياً دون وجه حق وظهرت كتب رأت فى هدمه هدم الخلافة التى يمثلها فبالغت فى تعداد مساوئ نقلتها عن صحائف أوروبا مما سجله الموتورون عنه وما أزعم أن الرجل معصوم من الخطأ ولكنه له مآخذه بجوار حسناته وهى كثيرة فاختصاصه بالذم الباغى عدوان على الحقيقة فقد كتب جورجى زيدان مؤسس دار الهلال روايات التاريخ الإسلامى منذ عهد الخليفة الأول أبو بكر الصديق وحتى عهد الخلافة العثمانية .

وهذه الروايات تستهوى المراهقين حين تتحدث عن الجوارى وخيانات القصور ودسائس المتنافسات من الضرائر .

هذه الروايات لا تستند إلى وقائع صحيحة إنما هى محض كذب وافتراء وقد نال عبد الحميد من الافتراء والكثير فشوهت هذه الروايات تاريخه الناصع ومحاولاته للإصلاح من شأن الخلافة .

ومن الأمور المحزنة والمؤسفة أن هذه الروايات الخيالية الباغية الحاقدة على الإسلام وتاريخه ورجاله العظام أصبحت لدى بعض الكتاب مصدراً من مصادر التاريخ فنقلت الصفحات ذات البغى رالفحش وكأنها حق لا مرية فيه[1] .

يقول أحمد محرم فى تعداد مآثر السلطان عبد الحميد فى قصيدة مطولة

---

(1) صوت الإسلام الصارخ أحمد محرم) د. محمد رجب البيومى عضو مجمع البحوث الإسلامية صفحة 43 وما بعدها بتصرف وإضافة الناشر دار الأدب الإسلامى .

مليكـكم عبـد الحمـيد وإنـه — لخيـر مليك فى الملمـات حـازم

حمى بيضه الإسلام عن يد لا مس — فـأصبح من كـيـد العـدو هو سـالم

وصان زمـام الدين والدين حوله — أيـا مـن أعـــدائه وأشـــائـم

إذا فـاض طوفـان النوائب لم يكن — سـواه لنا من صـائل الحين [1] عـاصـم

أجـاهله إمـا أردت فـعـاله — فـسل عنه تنبـيك الليـالى العـوارم

فـيا رب غـارات سـقـينا سـيوفنا — بهـا من دمـاء وهى عـوائم

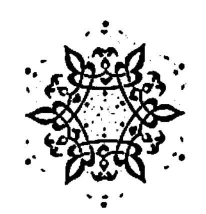
فما أهمدت حتى وعت عزماتهم — وحتى حوت فوق الرجام الجماجم [2]

فـأصـبح كلٌ نادمـا بعـد غـيـه — وكلٌ غـوى لا مـحـالة نادم

شَنَّ حـرب غـيـرنا لغنيـمـة — فـليـس لـنا إلا الـنفـوس غنائـم

مـحـارمنا لاتسـتـبـاح وإنما — لدى غـيـرنا قـد تسـتـبـاح المحـارم

لـنا الأرض تـنفـك لمحـة ناظـر — تـدين لنا أعـرابهـا والأعـاجـم [3]



(1) الحين: الهلاك .

(2) الرحام: القبور .

(3) صوت الإسلام الصارخ إحمد محرم د. محمود رحب البيومى ص 50,49 .

خلع عبد الحميد مقدمة لاغتصاب فلسطين

إن تحالف الصليبية والماسونية العالمية والصهيونية للقضاء على دولة الخلافة الإسلامية تزامن مع محاولات اليهود لاغتصاب فلسطين فتحالف هذا الثالوث ضد الدولة العثمانية التي وقف حكامها كالصخرة في وجه المطامع اليهودية وطالما كان للمسلمين خليفة وإمام يذود عن حياض الإسلام ويدفع عنها اللئام فإن مصير كل محاولة لاستقطاع فلسطين من جسم دولة الخلافة الكبرى وعضو من أعضاء هذا الكيان الكبير كانت تبوء بالفشل وتتحطم على صخرة الدولة الإسلامية الواحدة يقول السلطان عبد الحميد الثاني : انتظم يهود العالم وسعوا عن طريق المحافل الماسونية للعمل في سبيل الحصول على« الأرض الموعودة»! وجاءوا إلى بعد فترة وطلبوا مني أرضاً لتوطين اليهود في فلسطين مقابل أموال طائلة فرفضت[1] .

تصدى عبد الحميد للحركات اليهودية :

يقول الدكتور عبد الحميد حرب في كتابه القيم « مذكرات السلطان عبد الحميد » في هامش 143,142,141 .

« وردت في مذكرات هرتزل معلومات مفصلة في هذا الموضوع نشير إلى ثلاث منها توضح موقف خليفة المسلمين السلطان عبد الحميد من محاولات اليهود لاغتصاب فلسطين :

الأولى: قال السلطان (عبد الحميد) : إنه لن يتخلى أبداً عن القدس فإن جامع عمر يجب أن يبقى بيد المسلمين دائما (مذكرات هرتزل ص29) .

الثانية : إن الناس هناك في انجلترا ينتظرون سقوط الدولة العثمانية الذي هو وشيك . . .

وإن خلاص السلطان عبد الحميد لا يكون إلا باتفاقه مع تركيا الفتاه وقال (نيولنسكي) : إنه قدم تقريراً للسلطان يتضمن هذه النصيحة فقلت له (أي هرتزل) :

إنه الآن يجب أن يزيد عن هذه الحقيقة على البرنامج الذي قدمه للسلطان وهي

---

(1) مذكرات السلطان عبد الحميد د. محمد حرب ص 148 .

أن يساعد السلطان اليهود بأن يعطيهم قطعة الأرض التى يريدون وهم بدورهم يصلحون أمره فى البلاد ويثبتون ماليته ويؤثرون على الرأى العام ليقف إلى جانبه (مذكرات هرتزل ص32).

الثالثة : قال السلطان(عبد الحميد) لصديقى (نيولنسكى) : «إذا كان صديقك فانصحه أن لايسير أبداً فى هذا الأمر لا أقدر أن أبيع ولو قدماً واحداً من البلاد لأنها ليست لى بل لشعبى . لقد حصل شعبى على هذه البلاد بإراقة دمه وقد غذّاها فيما بعد بدمائه أيضاً وسوف نغذيها بل لن نسمح لأحد باغتصابها منا فليحتفظ اليهود بملايينهم . أما إذا سقطت الدولة العثمانية وتم تقسيمها فقد يحصل اليهود على فلسطين بلا مقابل، إننا لن نقسم هذه الدولة(العثمانية) إلا على جثثنا ولن أقبل تشريحنا لأى غرض كان»(مذكرات هرتزل ص35) .

وبعد المؤتمر الصهيونى الثالث فى زيورخ عام 1896م اقترح اليهود على السلطان عبد الحميد أن يبيع لهم « المزارع السلطانية» الواقعة على ساحل فلسطين أو تأجيرها لهم لمدة 99 سنة مقابل (ذهباً يعادل ثلاث ميزانيات عثمانية) ورفض السلطان عبد الحميد الاقتراحين وكان المتحدث باسم الوفد اليهودى السلانيكى إيمانويل قراصو وبعد الرفض السلطانى خرج الوفد فقال هذا المتحدث باسم الوفد لتحسين باشا كبير أمناء القصر : سآتى هنا مرة أخرى لكن سيكون دورى فى هذه المرة غير دورى الآن وحدث بالفعل أن كان إيمانويل قراصو ضمن وفد الاتحاد والترقى الذى أبلغ السلطان عبد الحميد بقرار خلعه .

يقول طلعت باشا زعيم الاتحاد والترقى فى مذكراته عن موقف الاتحاد والترقى من اليهود فى صراحة تامة ما يلى :

* كان الاتحاد والترقى أمل اليهود هذا صحيح ولقد بدأ فى عهد توليتى وزارة الداخلية يتجمعون فى فلسطين خاصة هؤلاء اليهود الذين أجبروا على الهجرة من روسيا . أخذ اليهود المهاجرون يشترون الأراضى فى فلسطين بواسطة اليهود من التبعة العثمانية .

* جاء 50000 خمسون ألفاً يهودى إلى أرض فلسطين خلال سنة واحدة من يناير عام 1908إلى مارس 1909م .

* وعن نية قادة الاتحاد والترقى- بعد خلعهم- السلطان عبد الحميد - فى إقامة دولة يهودية فى فلسطين يقول طلعت باشا صاحب الكلمة العليا فى جمعية الاتحاد والترقى وفى حكومتها أيضاً :

سألنى نافع باشا مندوب حلب فى أول مجلس نيابى عام 1876 قائلا :

- هل ترى أنه من الممكن إقامة دولة يهودية فى فلسطين ؟

- فأجبته بقولى : ليس ممكنا فقط بل إنى أعتبر هذا أمراً مقدراً [1] .

يقول تحسين باشا رئيس أمناء القصر السطنى فى عهد عبد الحميد فى مذكراته :

(جاءت شخصية كبيرة صهونية يهودية نمساوية إلى إستانبول وطلبت إقامة وطن يهودى فى ولاية القدس وقالت هذه الشخصية أنها تتحدث فى هذا باسم الصهاينة وأن روتشيلد المصرفى المشهور وراء هذا الأمر) .

وكان أساس مطلب هذا اليهودى : إقامة قرى يهودية فى فلسطين فى أى مكان تحدده الحكومة العثمانية .

وسيتم مقابل هذا تقديم الخدمات والتسهيلات اللازمة فى مسألة الديون العمومية وسيتم تقديم الضمان الكافى بهذا كتابة . ولأن هذا اليهودى كان له وزنه واعتباره ولأن هذه المسألة تتعلق بالديون العمومية بحسابات حادة عرضنا هذا الموضوع على السلطان فأذن بمقابلته .

رأى السلطان مجموعة موانع فى هذا :

ففلسطين بمقامتها المباركة تشكل المطامع والطموحات السياسية وعاد الصهيونى النمساوى هذا إلى بلاده صفر اليدين وبعد هذه المقابلة أصدر السلطان عبد الحميد أمراً تم تبليغه إلى سفراء الدولة العثمانية فى كل من واشنطن وبرلين وفيينا ولندن وباريس فقام هؤلاء السفراء بتعقب الحركة الصهيونية وإرسال تقاريرهم أولاً بأول إلى السلطان كما قاموا بناء على هذا الأمر بمقابلة زعماء اليهود فى البلدان التى يعملون بها وقاموا بإرسال مخبرين عثمانيين إلى الاجتماعات الصهيونية فى أوروبا وإرسال قصاصات الصحف والمجلات الأوروبية المتعلقة بنشاط اليهود فى أوروبا .

---

(1) مذكرات السلطان عبد الحميد د. دكتور عبد الحميد حرب ص 142 وص 143 .

وفى 28 يونيو 1890 وفى 7 يوليو من نفس العام أصدر السلطان عبد الحميد أمراً بعدم قبول الصهاينة فى الممالك العثمانية وإعادتهم إلى الأماكن التى جاؤوا منها وأبلغ عبد الحميد أوامره إلى نظارة الشئون العقارية بعدم بيع أراضى للمهاجرين إلى فلسطين.

وترتب على ذلك أن عمل هرتزل واليهود على تدعيم أعداء السلطان وأعداء السلطان يتمثلون فى الآتى:

1- تأييد الأرمن وتدعيم حركتهم ضد السلطان عبد الحميد.

2- تأييد الحركة القومية فى البلقان لانفصال هذه المنطقة عن الدولة.

3- تأييد الحركة القومية الكردية التى ظهرت عام 1880م

4- تأييد كل حركات الاستقلال عن الدولة العثمانية.

5- تدعيم قوى حركة« الاتحاد» ودفعها إلى قلب الأوضاع السياسية فى الدولة.

وفى عام 1901م وفى قصر(يلدز، مقر الخلافة والخليفة فى استانبول)جاء ثلاثة من اليهود يطلبون مقابلة السلطان عبد الحميد وهم- مزراحى قراصو مدير أحد البنوك.

- جاك. . . . .

- ليون. . . . .

فاستقبلهم تحسين باشا رئيس الكتاب وأصر على معرفة ما يريدون لينقلة حرفاً إلى السلطان فأبدوا استعدادهم:

1- الوفاء بجميع الديون المستحقة على الدولة العثمانية.

2- بناء أسطول لحماية الدولة.

3- تقديم قروض بخمسة وثلاثين مليون ليرة ذهبية لإنعاش الدولة وإنماء مواردها مقابل:

1- إباحة دخول اليهود إلى فلسطين فى أى يوم من أيام السنة للزيارة.

2- السماح لليهود بإنشاء مستعمرة ينزل بها أبناء جلدتهم قرب القدس أثناء الزيارة.

وحينما نقل تحسين باشا ما سمعه إلى السلطان أجابه:

قل لهؤلاء اليهود الوقحين:

1- إن ديون الدولة ليست عاراً عليها لأن غيرها من الدول كفرنسا مدينة ولا يعيرها ذلك.

2-إن بيت المقدس الشريف افتتحه للإسلام أول مرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولست مستعداً أن أتحمل تاريخياً وصمة بيع الأراضى المقدسة لليهود وخيانة الأمة التى كلفنى المسلمون بالحفاظ عليها.

3- ليحتفظ اليهود بأموالهم فالدولة العلية لا يمكن أن تحتمى وراء حصون بنيت بأموال أعداء الإسلام وأخبرهم أن يخرجوا وألا يحاولوا مقابلتى أو الدخول لهذا المكان بعدها.

وبعد ذلك أمر ناظر الداخلية بأنه يقوم بالاتصال بوالى القدس الشريف ليقوم بالتحرى فوراً عن اليهود فى فلسطين ولا سيما فى القدس بحيث لا يبقى إلا الزائرون ولمدة محدودة.

ويقول السلطان عبد الحميد فى مذكراته أن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا عليه بأن أصادق على تأسيس وطن قومى لليهودى الأرض المقدسة ورغم إصرارهم لم أقبل بصورة قطعية هذا الأمر.

وأخيراً وعدوا بتقديم 150 مليون ليرا إنجليزية ذهباً فرفضت هذا بصورة قطعية أيضاً وأجبتهم بهذا الجواب القطعى.

«إنكن لو أعطيتم ملء الدنيا ذهباً فضلا عن 150 مليون ليرا إنجليزية ذهباً فلم أقبل هذا الأمر بوجه قطعى.

لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة فلم أسود صحائف المسلمين آبائى وأجدادى من السلاطين والخلفاء العثمانيين لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعى.

وبعد جوابى القطعى اتفقوا على خلعى وأبلغونى أنهم سيبعدونى إلى سالونيك فقبلت بهذا التكليف الأخير وأنتهت الاتصالات برفض السلطان عبد الحميد الثانى إقامة مأوى لليهود فى فلسطين وبذلك أصبح عبد الحميد فى نظر(هرتزل سلطاناً «ماكراً جداً خبيثا جداً ولا يثق بأحد»)

كان السلطان عبد الحميد يرى ضرورة عدم توطين مهاجرين يهود فى فلسطين حتى يبقى العنصر العربى المسلم محافظاً على تفوقه الطبيعى فيها وكان من رأى عبد الحميد أنه إذا ما سمح لليهود بالتوطن فى فلسطين فإنهم يستطيعون فى وقت قليل جداً أن يجمعوا فى أيديهم وسائل القوة فى المكان الذى يستقرون فيه وفى هذه الحالة(تكون قد وقعنا قراراً بالموت على إخواننا فى الدين) ويقصد الفلسطينيين.

وقال هرتزل: إنه يفقد الأمل فى تحقيق آمال اليهود فى فلسطين وأن اليهود لن يستطيعوا دخول (الأرض الموعودة) طالما أن السلطان عبد الحميد قائماً فى الحكم مستمراً فيه.

أما عبد الحميد فيعبر عن رأيه فى الحركة الصهيونية وفى هرتزل بقوله: (لا يريد الصهيونيون الاشتغال بالزراعة فقط فى فلسطين بل يريدون إنشاء حكومة لهم وانتخاب ممثلين سياسيين لهم وأنى أفهم جيداً معنى تصوراتهم الطامعه هذه... إن هرتزل يريد أرضاً لإخوانه فى دينه لكن الذكاء ليس كافيا لحل كل شيء).

وعن القدس يقول السلطان عبد الحميد : (لماذا نترك القدس؟إنها أرضنا فى كل وقت وفى كل زمان وستبقى كذلك فهى من مدننا المقدسة وتقع فى أرض إسلامية لابد أن تظل القدس لنا).

وهكذا وقف خليفة المسلمين السلطان عبد الحميد الثانى ضد مطامع اليهود وكان حجرة عثرة وعقبة كؤود فى طريق هجرة اليهود إلى فلسطين والتمكين لهم فى شبر واحد منها ناهيك عن إقامة دولة فذلك أمر دونه الموت ودفع السلطان عبد الحميد ثمن ذلك بخلعه عن الخلافة ونفيه هو وأسرته إلى سلانيك وتعرضه للإهانة وأسرته كذلك [1].

---

(1)الرؤية الإسلامية للقضية- المتشار مصطفى الشقيرى - المكتب المصرى الحديث -ص 92 وما بعدها.

وما ذكرناه عن اليهود ومحاولاتهم الدائبة والمستمرة فى التسلل إلى فلسطين كأفراد يقومون بالزراعة ورغم عروضهم المالية الضخمة ورغم احتياج ميزانية دولة الخلافة لهذه الأموال التى تنعش اقتصادها وتصلح من أمرها إلا أن السلطان كان يأبى ذلك من منطلق إيمانه القوى الذى غرس فى قلبه حب الإسلام والمسلمين وأن الخلافة أمانه فى عنقه فقابل عروض اليهود السخية بالرفض التام.

استمر اليهود يعملون علانية تحت ستار الماسونية وتحت مظلة حزب الاتحاد والترقى فى العمل للوصول إلى هدفهم المنشود فانتشرت المحافل الماسونية فى العالم كله يقول الدكتور عبد الحميد حرب فى كتابه مذكرات السلطان عبد الحميد « أما عن علاقة عبد الحميد بالماسونية فاتسمت دائماً بمعادته، لها ومعاداتها له يقول الكاتب اليهودى أورام فالنتى فى كتابه «الاتراك واليهود فى عهد الحرية- يقصد الكاتب- العهد الذى بدأ بعد إسقاط عبد الحميد- أرادت الماسونية أن نتتفع من إطلاق الحريات لذا قام الدكتور اليهودى جاك سهامى باقتباس مبادئ محفل الشرق الأعظم الفرنسى ومبادئ المحفل الأكبر الإنجليزى وكتب أسس الماسونية باللغة التركية وأعقبها بكتابات كثيرة عن الماسونية».

وأفاد أعضاء جمعية (**الاتحاد والترقى**) التى أسقطت عبد الحميد من انتسابهم للماسونية من حمايتها لهم. فقد ضمت الجمعيات الماسونية عدداً كبيراً من الأجانب وهؤلاء كانوا يتمتعون بامتيازات من الحكومة تجعلهم قادرين على حماية أعضاء الجمعية ومساعدتهم فى نقل مطبوعاتهم ومنشوراتهم من مكان إلى مكان وإخفاءها وفتح منازلهم لاجتماعات أعضاء (**الاتحاد والترقى**) .

يقول آورام غالنتى عن بعض دور اليهود فى تأييد أعضاء جمعية « **الاتحاد والترقى**» : (إن الجماعات اليهودية خارج نطاق نفوذ عبد الحميد أيدت جمعية (**الاتحاد والترقى**) وكان هذا التأييد مفيداً أثناء ما كانت الجمعية تعد العدة للإنقضاض على عبد الحميد).

وإن الجمعية بمصر أكدت أن من أهم واجباتها إدخال المطبوعات التى تواجه السلطان عبد الحميد إلى داخل حدود الدولة العثمانية بأى شكل من الأشكال وهى المطبوعات التى كان يحررها أعضاء تركيا الفتاة.

ويستطرد أورام غالنتى قائلاً (إن أحمد رضا رئيس الجناح المدنى فى «الاتحاد والترقى» ورئيس شعبة الجمعية فى باريس اتصل أثناء وجوده مصر فى عام 1907 بالجمعيةالاسرائيلية فى مصر وكان نتجية هذا الاتصال أن صوتت هذه الجمعية إلى جانب أحمد رضا أثناء انعقاد مؤتمر« الاتحاد والترقى» فى باريس وأدى هذا التصويت إلى فوز أحمد رضا برئاسة جمعية« الاتحاد والترقى »فى ديسمبر 1907م).

أدرك السلطان عبد الحميد الثانى أنه أمام أخطار داخلية وخارجية وكان يريد لدولته القوة ورأى أن الإسلام هو القوة المنشودة وفى هذا يقول : (إن الإسلام هو القوة الوحيدة التى تجعلنا أقوياء ونحن أمة حية قوية ولكن شرط أن نصدق فى ديننا العظيم ومن البديهى أننا فى حاجة إلى الإيمان الصادق الخالص بعظمة الله يقول محرم فوزى طوغاى فى مقالة فى 2/ 5 / 1947 نشرها فى مجلة بيوك طونو التركية بعنوان« فلسطين والمسألة اليهودية ما يلى : (إن تصرف عبد الحميد تجاة الحركة اليهودية بهذا الشكل المعادى كان معناه يتسبب فى هدم تاجه وهدم عرشه ليس هذا فقط بل وبالتالى فى هدم الدولة العثمانية كلها [1].

ورغم ذلك كله فإن السلطان عبد الحميد كان يعل فى إذكاء شعور المسلمين للتمسك والسعى للتضامن والتكتل والإلتفاف حوله بصفته خليفة المسلمين وخادم للحرمين الشريفين وحامياً لحمى الدين ليبلغ من وراء ذلك إلى تثبيت أركان دولة الخلافة فى الداخل ضد الحركات الماسونية واليهودية والاتحاد والترقى التى تكتلت ضد الخلافة وفى الخارج التفاف المسلمين فى كل أنحاء العالم حول الخليفة والخلافة واهتم السلطان عبد الحميد اهتماماً بالبلاد العربية وهى قلب العالم الإسلامى فأرسل إليها للدعوة له بين العرب ومحاولة إقناعهم بأن الخلافة الإسلامية هى أملهم الوحيد للنجاة من الغرب والسبيل إلى استرداد ما كان لهم من مجد خالد وعز تليد وعمل كسب الشعب العربى عن طريق الاهتمام بكل مؤسساته الدينية والعلمية والتبرع لها بالأموال والمنح ورصد المبالغ لإصلاح الحرمين وترميم المساجد وزخرفتها .

---

(1) مذكرات السلطان عبد الحميد تقديم وترجمة الدكتور محمد حرب صفحة (30 و (31)و (55).

إنشاء الخط الحديدى بين الشام والحجاز

شرع السلطان عبد الحميد فى إنشاء سكك حديد الحجاز ففى سنة 1901 بدء بتشييد خط حديدى من دمشق إلى المدينة للاستعاضة به عن طريق القوافل الذى كان يستغرق من المسافرين 40 يوم وطريق البحر الذى كان يستغرق حوالى 12 يوم من ساحل الشام إلى الحجاز وكان السلطان عبد الحميد يهدف من هذا الخط خدمة حجاج بيت الله الحرام ومن الناحية السياسية خلق المشروع فى أنحاء العالم الإسلامى حماسة دينية ذلك أن السلطان عبد الحميد قد أصدر بياناً لشعوب العالم الإسلامى كله يناشدهم فيه المساهمة بالتبرع لإنشاء هذا الخط وافتتح القائمة بالتبرع بمبلغ كبير وأصدر قراراً بخصم عشرة فى المائة من مرتبات موظفى الدولة لصالح المشروع وقام الدعاة ينشرون بين المسلمين مدى حرص الخليفة على تسهيل الحج إلى بيت آلله الحرام وقد غطت التبرعات التى جمعت من العالم الإسلامى ما يزيد على ثلث النفقات .

وفى أغسطس 1908 وصل الخط الحديدى إلى المدنية المنورة وكان مفروضاً أن يصل إلى مكة إلا أن العمل توقف بسبب عرقلة شريف مكة الحسين بن على الذى خشى على سلطانه فى الحجاز وإمارته على مكة فبقيت نهاية الخط عند المدنية حتى قامت الحرب العالمية الأولى تحالفت بريطانيا مع القوات العربية بقيادة فيصل بن الحسين بن على وقامو بتخريب سكة حديد الحجاز ولا تزال أبنيتها الشامخة فى كل من سوريا والمدينة المنورة وغيرها من البلاد التى وصل إليها الخط ولاتزال هذه السكة معطلة حتى اليوم والمأمول أن تبذل الجهود لإصلاحها لتيسير سفر حجاج بيت الله الحرام فى قليل من الوقت وبنفقة ضئيلة[1] .

وقد وصف السفير البريطانى فى القسطنطينية فى تقريره السنوى لعام 1907 أهمية هذا المشروع فقال : (إن بين حوادث السنوات العشر الأخيرة عناصر بارزة فى الموقف السياسى العام أهمها خطة السلطان عبد الحميد الماهرة التى استطاع أن يظهر بها أمام ثلاثمائة مليون من المسلمين فى ثوب الخليفة الذى هو الرئيس الروحى

---

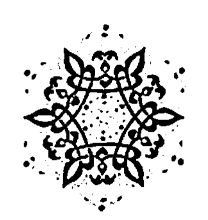
(1) صحوه الرجل المريض ، موفق بن المرجة .

للمسلمين وأن يقيم لهم البرهان على قوة شعوره الدينى وغيرته الدينية، ببناء سكة حديد الحجاز التى ستمهد الطريق أمام كل مسلم للقيام بفريضة الحج إلى الأماكن المقدسة فى (مكة والمدينة) فلا غرو إذا ما لمسنا حنق الإنجليز على ذلك الخط الحديدى وإفتعالهم الأزمات وانتهازهم أول فرصة لتعطيلة ونسفه لقطع الطريق على القوات العثمانية).

ووصل أول قطار إلى مدنية رسول الله ﷺ وآله وسلم قادماً من دمشق يوم 22 (أغسطس)عام 1908م وكان بمثابة حلم حققه خليفة المسلمين السلطان عبد الحميد للمسلمين قاطبة.

فقد اختصر القطار الرحلة من دمشق إلى المدنية فى ثلاثة أيام قطع فيها 814 ميلا بينما كانت الرحلة إلى المدنية قبل إنشاء الخط أكثر من خمسة أسابيع [1].

وقد خفقت قلوب المسلمين فى ذلك اليوم الأغر وهو يوم من الأيام الإسلام التى يذكرها التاريخ بإجلال وإعظام أيام كان للمسلمين خليفة وإمام .



(1) صحوة الرجل المريض مرجع سابق ص113وما بعدها .

الحضارة الإسلامية فى عهد الخلافة العثمانية

دولة الخلافة وعمارة الحرمين

عبد الحميد والجامعة الإسلامية

الصحافة المصرية والجامعة الإسلامية

أعداء الجامعة الإسلامية

عبد العزيز جاويش يواجه (لطفى السيد)

الحضارة الإسلامية فى عهد الخلافة العثمانية

« سارت الأمور على نحو جيد فى سائر الولايات خلال القرون الأولى من الحكم العثمانى فأنشئت المستشفيات والمساجد والمدارس والمعاهد ونبغ العديد من العلماء والقادة .

وقد استطاع أدميرال تركى يدعى « بيرى ريس» أن يرسم خريطة للعالم على جلد ظبى ، أوضح فيها الخطوط الساحلية ومسافتها بدقة بالغة فى البلاد التى وصل إليها والخريطة توجد فى أحد المتاحف فى استنامبول ، كما ألف كتاباً ضخماً عن «الملاحة فى المتوسط والخليج والأطلنطى والأدرياتيكى» .

كا يوجد فى هذا المتحف أيضاً مخطوط من القرن التاسع الهجرى يتضمن رسماً تشريحياً لحصان تميز بالدقة العلمية ولاغرو فالعلماء المسلمون تناولوا فى أبحاثهم علوم الإنسان والحيوان والنبات والفلك .

كما يوجد فى هذا المتحف أيضاً مخطوطة فارسية ترجع إلى القرن التاسع الهجرى تتناول علم الأعشاب وخصائصها الطبية وفيها وصف لحوالى ستمائة نوع من فوائدها مترجم للعربية عن(مترياميديكا) للطبيب الإغريقى «ديوسكو ريدس» .

كما يوجد فى جامعة« كوتوفاينس» باستانبول نسخة لمخطوط قصيدة ملحمية كتبت على شرف السلطان مراد الثالث وتظهر صورتها خمسة عشرموظفاً يعملون فى مرصد باستانبول تحت إدارة تقى الدين محمد الدمشقى رئيس علماء القلك عام 989 هـ.

وقد اعتادت المراصد الإسلامية على إنتاج تقويم فلكى إسلامى متميز يجمع الجداول الفلكية وسجلات حركات الرصد منذ عهد الخليفة المأمون.

كما أنشئت الطرق الحديثة ولا سيما فى البصرة وعكا وبيروت والإسكندرية مما أعاد للبلاد العربية أهميتها الاستراتيجية كشريان للمواصلات والتجارة العالمية خاصة بعد فتح قناة السويس عام 1869م وظلت الدولة العثمانية متقدمة ومتفوقه على أرقى الدول الأوروبية حتى نهاية القرن السابع عشر وكانت مدفعيتها أقوى مدفعية فى العالم كله وقتئذ .

كما عرف الجيش العثمانى مدفعية الهاون والتى استخدمت لأول مرة فى فتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح فى منتصف القرن الخامس عشر فضلاً عن المدفعية الثقيلة .

وكان الأسطول العثمانى حتى عام 1868م هو الأسطول الثالث فى العالم قوة بعد الأسطول الإنجليزى والفرنسى ، كما تشهد ترسانة السويس على مدى ما وصل إليه الأسطول البحرى العثمانى من دقة التنظيم وسرعة الحركة من السويس إلى سائر البلاد ويشهد بذلك الفرمان الذى أرسله الخليفة العثمانى .

(إلى مصر لإرسال الأسطول بسرعة لإنقاذ الأهالى المسلمين فى البحرين من الكفار البرتغاليين عام 981هـ)وهذا فى المجال العسكرى) .

أما فى المجال المدنى فانتشرت مصانع السكر والنسيج والزجاج والأسلحة وفى مجال التشييد والبناء والعمارة تفوقت الدولة العثمانية على الدول الأوروبية ولا تزال المبانى والقصور والمساجد التى شيدها العثمانيون فى جميع أرجاء الدول التى كانت تحت مظلة الخلافة خير شاهد على ذلك ، هذا عن الجانب العسكرى ، أما المدنى فيكفى أن نذكر أن الطب العثمانى قد نبغ فى معالجة الأمراض النفسية وقد شهد بذلك الدكتور « كرافت» الذى قرر أن أوروبا تعلمت من العثمانيين معالجة المصابين بالأمراض العقلية كما برز من العثمانيين شرف الدين الصابونجى وداود الإنطاكى (فى جراحة المخ) وأخى جلبى فى(المسالك البولية) وعياشلى شعبان أفندى فى(الولادة وأمراض النساء) وقد تم إنشاء مجمع طبى منذ القرن الخامس عشر ، كما تقدمت طرق الرى والزراعة وتنوعت المحاصيل ، وأنشئت المطابع وظهرت الصحف والمجلات والكتب حتى بلغ عددها فى الشام والعراق ومصر قبل الحرب العالمية الأولى نحو 1333صحيفة ومجلة [1] .



(1) صحوة الرجل المريض موفق بن المرحة ص73 ,77,76,75,74

دولة الخلافة وعمارة الحرمين

ومن أهم إنجازات الخلافة العثمانية عنايتهم البالغة بعمارة الحرمين الشريفين حتى أن كل خليفة كان يتقرب إلى الله بعمارة الحرم المكى والمدنى .

وكان من أول الألقاب التى تطلق على الخلفاء أنه(خادم الحرمين الشريفين) ولازالت هذه العمارة خير شاهد على ذلك، ولا أكون مبالغاً أو متجافياً للحقيقة إذا قلت أن العمارة العثمانية للحرمين هى العمارة الأولى والأساسية فى العصور الحديثة والعمارات التى قام بها غيرهم بعد ذلك فهى تبع لها رغم فخامة وضخامة العمارة التى تمت فى عهد ملوك المملكة العربية السعودية فجزاهم الله خير الجزاء، لكن الفضل للسابق والشكر للاحق .

يقول الأستاذ موفق بن المرجة فى كتابه صحوة الرجل المريض : « لقد كان لقب خادم الحرمين الشريفين من أرفع الألقاب التى يعتز بها السلاطين العثمانيون، ولم يكد السلطان سليم الأول يتبوأ منصب الخلافة حيث بلغته رسالة من شيخ المسجد الحرام يطلب منه تجديد الكعبة المشرفة فسارع بإرسال أمهر المهندسين وخبراء البناء الذين قرروا هدم البناء القديم جزءاً جزءاً وإعادة بناء الكعبة والحرم وقد استخدمت لأول مرة الأعمدة الرخامية لتقوية جدران المسجد الحرام، كما كسيت جدرانه بالرخام البديع فارتفع صرحه زاهياً بتناسق طرزه وبديع زخارفه وفخامة قبابه ليكون معجزة للعمارة العثمانية وعنواناً للحضارة الإسلامية عبر العصور» [1] .

ولا زالت هذه العمارة موجودة حتى الآن شاهدة على عصر الخلافة العثمانية رغم العمارة الفخمة التى شيدها الملك عبد العزيز آل سعود وأبناؤه من بعده .

أما المسجد النبوى الشريف فى المدينة المنورة فقد أعاد السلطان سليم الثانى بناءه وشيد به محراباً جميلاً عرف باسم «المحراب السليمانى» تخليداً لاسم والده السلطان سليم القانونى الذى عاجلته المنية قبل أن يشرع فى تجديدة بعد أن طلب إليه ذلك شيخ المسجد النبوى الشريف عام 980 هـ وقد زينت زخارفه بالفسيفساء المنقوشة بماء الذهب .

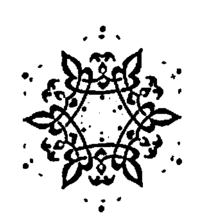
---

(1) محمد الحسينى عبد العزيز« دراسات فى العمارة والفنون الإسلامية» الكويت نقلا عن صحوة الرجل المريض مرجع سابق ص81

كما جاء بناء المسجد النبوى فى عهد السلطان محمود عام 1255هـ حيث بنيت القبة فوق المقصورة النبوية الشريفة ودهنت باللون الأخضر .

وفى عهد السلطان عبد المجيد أعيد بناء المسجد النبوى كله ما عدا الحجرة النبوية الشريفة ودار الزهراء والمحاريب الثلاثة والمنبر الشريف فقد اكتفى بترميمها ، والذى يسعده الله بزيارة المسجد النبوى يرى كل ذلك وخاصة الجزء القبلى من المسجد الذى فيه الحجرة الشريفة والمحاريب التى بناها العثمانيون ومحراب السلطان قايتباى وباب السلام وباب النساء وباب جبريل والروضة الشريفة والقباب المزخرفة بالألوان الذاهية الجملية والأعمدة الرخامية ذات اللون الوردى هذا الجزء كله هو الأساس فى عمارة المسجد النبوى الشريف الذى شيدها الخلفاء العثمانيون .

ثم تلى العمارة العثمانية العمارة الفخمة التى شيدها آل سعود تتمة لعمارة العثمانيين فجزى الله السابقين واللاحقين خير الجزاء .



عبد الحميد والجامعة الإسلامية

فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ظهرت الدعوة إلى الجامعة الإسلامية كرد فعل للدعوات التى تريد أن تفكك دولة الخلافة إلى دويلات صغيرة وقد بلغت فى هذا السبيل شوطاً بعيداً بسبب تكاتف الصليبية العالمية واليهودية والماسونيةالذين نفخوا فى قربة القوميات كبديل عن الخلافة الإسلامية التى انضوى العالم الإسلامى تحت لوائها .

فظهرت الدعوة إلى إحياء القوميات والجنسيات وإحياء العصبيات التى نهى عنها الإسلام وحذَّر ونَفَّرَ منها .

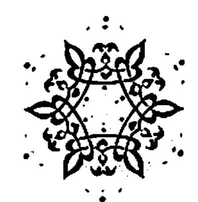
وحينما اعتلى السلطان عبد الحميد الثانى عرش الخلافة الإسلامية تبنى بقوة فكر الجامعة الإسلامية لتكون إنقاذاً وشفاءً للرجل المريض وهو ما كانت تطلقه الدول الأوروبيةالدولة على العثمانية« وجد عبد الحميد فى شعار الجامعة الإسلامية خير علاج لما تعانية دول الخلافة من أمراض وعلل فسارع إلى الدعوة إليها وجند لها كل ما وسعه من طاقات وإمكانات باعتبارها تحقق له البديل المناسب فضلاً عن الأثر الطيب والتجاوب السريع الذى يمكن أن يصادفه لدى عامة المسلمين من رعايا الدولة العثمانية ، باعتبارها تمثل حلاً مستمداً من العقيدة الإسلامية السمحة فضلاً عن تحقق الأهداف التالية :

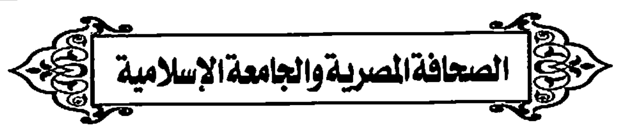
أ- إلتفاف الشعوب الإسلامية حول الخلافة العثمانية .

ب - توطيد الصلة بين مركز الخلافة وسائر الولايات .

ج- تقديم بديل إسلامى للحلول الدستورية والإصلاحية المطروحة .

د- التلويح بخطر الوحدة الإسلامية وتعبئة سائر القوى للجهاد ضد الدول الطامعة والأمر الذى لا سيما بعد معاهدة لندن 1840 .





الصحافة المصرية والجامعة الإسلامية

الأمر الذى لاشك فيه أن صحيفة« العروة الوثقى » التى أصدرها جمال الدين الأفغانى فى باريس بمعاونة الشيخ محمد عبده قد لعبت الدور الرئيسى فى بلورة المحتوى الأيدولوجى لفكرة الجامعة الإسلامية ويرجع إلى جمال الدين الأفغانى فى العروة الوثقى الفضل فى أن فكرة الجامعة الإسلامية لم تقف عند الحد الذى أراده لها السلطان عبد الحميد الثانى ، فقد منحها جمال الدين الأفغانى محتواً تحررياًومضموناً معادياً للاستعمار ففى العدد الصادر بتاريخ 14/ 7 / 1884 كتب جمال الدين مقالاً بعنوان(الوحدة الإسلامية) يقول فيه : « إن الأصول الدينية الحقة تنشىء للأمم قوة الاتحاد وائتلاف الشمل وتحثها على إقتناء الفضائل وتوسيع دائرة المعارف وتنتهى بها إلى أقصى غاية فى المدنية .

ويقول أيضاً فى المقال المنشور فى العدد الصادر فى 26/ 7/ 1884 بعنوان (الجنسية والديانة الإسلامية) :

« لا جنسية للمسلمين إلا فى دينهم» ويقول فى العدد الصادر بتاريخ / 8/ 1884 14 فى مقال بعنوان (الوحدة والسيادة) « عَلمنا ، وعلم العقلاء أجعون أن المسلمين لا يعرفون جنسية إلا فى دينهم واعتقادهم» .

وكان كثيراً ما يطالب المسلمين بإن يعتصموا بحبل الرابطة الدينية التى هى أحكم رابطة اجتمع فيها التركى بالعربى والفارسى بالهندى والمصرى بالمغربى وقامت لهم مقام الرابطة الجنسية [1] .

ويقول فى مقال بعنوان (أمة واحدة) : فى العدد الصادر 28/ 8/ 1884 وهذا ما أرشدنا إليه سير المسلمين من يوم نشأة دينهم إلى الآن لا يتقيدون برابطة الشعوب وعصبيات الاجناس وإنما ينظرون إلى جامعة الدين لهذا نرى المغربى لا ينفر من سلطنة التركى والفارسى يقبل سيادة العربى والهندى يذعن لرياسة الأفغانى لا اشمئزاز عند أحد فيهم ولا انقباض . وأن المسلم فى تبدل حكومتة لا يأنف ولا

---

(1) العروة الوثقى 24/ 8/ 1884مقال (بعنوان عصبية الجنس وعصبية الدين) نقلاً عن صحوة الرجل المريض مرجع سابق ص127 .

يستنكر ما يعرض عليه من أشكالها وانتقالها ما دام صاحب الحكم حافظاً لشأن شريعتها ذاهباً مذاهبها » .

وقد كان الأفغانى يعتقد أنه لن تقوم للشرق قائمة إلا إذا كان «كان الإصلاح يعتمد على أساس دينى»[1] والتاريخ الإسلامى ينبئنا وهو أقوى دليل وأصدق شاهد أن مصر والشام تولى حكمها حكام من غير العرب مثل صلاح الدين الأيوبى وهو كردى وقد حمى بيضة الإسلام وعلى سيفة تحطمت صخرة الصليبيين وحرر بيت المقدس من أيديهم، وكما رضيت مصربحكم المماليك الذين صَدُّوا غارات التتار وحافظوا على الإسلا م شريعة وعقيدة وديناً ودولة .

كان ميخائيل عبد السيد صاحب صحيفة الوطن القبطية يتخذ موقف الدفاع عن الدولة العثمانية ويدعو للحفاظ على روابط مصر بالدولة العثمانية العلية وكان من رأيه أنه كلما قويت الدولة العثمانية كلما كان فى ذلك حماية لمصر من الأطماع الأوروبية، وكلما ضعفت الدولة زاد الخطر على مصر وعلى ضوء ذلك نراه يعتقد أن« كل ما كان موافقاً للدولة العلية يكون على مرام الحكومة المصرية لشدة الجامعة والرابطة بينهما فإذا كانت الدولة العلية عزيزة مهابة أمنت مصر على نفسها من جور الجائروصارت فى أمن متين وحصن منيع بخلاف إذا كانت ضعفية يطمع الطامعين فى التعدى عليها»[2] .

ومن رواد فكر الجامعة الإسلامية عبد الرحمن الكواكبى وقد أفرد لها كتاباً كاملاً سماه « أم القرى » .

كما أصدر رشيد رضا« المنار» داعياً من فوق منبرها إلى أقامة مجتمع إسلامى تحت راية الخليفة العثمانى قاعدته مكة وله فروع فى كل بلد إسلامى وأهدافه :

- توحيد المسلمين وإخضاعهم لنظام وعقيدة وأخلاق ولغة واحدة .
- مصادرة التعاليم الضارة .

---

(1) صحوة الرجل المريض ، موقف بن المرحة ص127,126 .
(2) الوطن، مارس سنة 1892 نقلا عن صحوة الرجل المريض ص128 .

- نشر الإسلام.

وكان يرى أن تطبيق الشريعة لابد أن يتضمن إحياء الجامعة الإسلامية وأن أهم مبدأ للحكومة الإسلامية هو الشورى وأن مفهوم الأمة الواحدة هو الأصل وأن الدعوة للقومية خطر على الإسلام وأن بإمكان الشريعة أن تتمشى فى كل العصور مع ظروف الحياة المتغيرة وأنه لابد من فتح باب الاجتهاد ودعم حركة الجامعة الإسلامية[1].

ولا ضير فى اقتباس الجوانب النافعة من الحضارة الأوروبية وكان مصطفى كامل يعتقد أن الارتباط بالدولة العثمانية مصدراً لحماية مصر من بريطانيا وكان يسعى جهده للإفادة من نفوذ الدولة العثمانية وحقها الشرعى فى السيادة على مصر لإحراج إنجلترا بين الدول ودفعها للجلاء عن مصر لذلك كان يحرض المصريين دائماً على الدفاع عن الدولة العثمانية ويدعو المصريين أن يسبق ولاؤهم للدولة العثمانية فكتب يقول فى صحيفة اللواء التى كان يصدرها « إن الأمة بأسرها تؤمل من صميم الفؤاد بقاء الصلة بين عابدين ويلدز [2].

قوية متينة وأن يظل ارتباطها الأكيد بالدولة العلية صاحبة السيادة على مصر والمصريين »[3].

ويرى مصطفى كامل أن حماية الإسلام من دسائس أعدائه رهن بتحقيق شرطين:

الشرط الأول : أن يقوم من بنى الإسلام رجال يضحون بحياتهم لخدمة الإسلام ويهبون أعمارهم لإحياء وإعلاء شأنه فيكونون فينا كالجزويت والفرير الذى يقضى الواحد منهم عمره لخدمة دينه ونشر مبادئه.

الشرط الثانى: التعلق الصادق براية الخلافة الإسلامية العثمانية، وحينما حاول البعض أن يوقع بين مصطفى كامل وبين السلطان عبد الحميد الثانى خليفة المسلمين

---

(1) صحوة الرجل المريض ص 137.
(2) يلدز: قصر فى تركيا كان مقراً لحكم الخلافة العثمانيين.
(3) صحوة الرجل المريض ص 141.

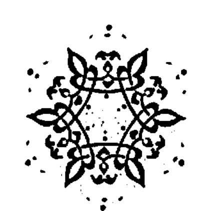
كتب يقول : «إنى كما يعلم من أول يوم ناديت فيه بحقوق بلادى لم أتحول عن المبادئ التى اتخذتها أو الخطة التى سرت عليها حيث رسخ فى نفسى واعتقدت اعتقاداً لا تنزعه من قلبى الحوادث أن سلامة بلادى وإعلاء شأن الإسلام أمران لا . يتحققان إلا بالعمل على إجلاء الإنجليز عن مصر:

أولاً : وبجمع كلمة المصريين حول أمير البلاد .

وثانياً : بتوثيق عرى الارتباط بين مصر والدولة العلية .

وثالثاً : احترام وتقديس مقام الخلافة العظمى (1) .

وفى عيد جلوس عبد الحميد الثانى كتب مصطفى كامل يهنيء الخليفة وقال « إن له أمنيتين لدى الخليفة الأولى أن يسعى جلالة مولانا أمير المؤمنين مستعيناً بالله الذى هو خليفة رسوله ويستعمل نفوذه الدينى المقدس فى جعل الاتحاد الإسلامى المعنوى اتحاداً إسلامياً ماديا معنوياً مؤلفاً من جميع إمارات الإسلام وممالكه . ليقوى على احتمال صدمات الاتحادات الأوروبية لأن إنجلترا أصبحت حليفة اليابان وكلتاهما دولتان ضخمتان . وروسيا حليفةفرنسا وألمانيا حليفة النمسا وإيطالياوكلهن يسعين إلى اجتذاب الولايات المتحدة إليهن، فعدم وجود اتحاد إسلامى أمام هذه الاتحادات العظمى أمر لاتخفى نتيجته على ذكاء جلالة مولانا أمير المؤمنين أما الأمنية الثانية فهى مضاعفة الإهتمام بحرية الدولة العثمانية ليرى المسلمون منشأتها تجرى كجوارى الدول الأخرى فيرفعون رؤوسهم إعجاباً وفخراً إعتماداً على الله ثم على قوانا (2) .



(1) الواء 5 مارس 1900 مقال بعنوان « كيف نحمى الإسلام »نقلاً عن المرجع السابق ص 143 .

(2) اللواء الإسلامى أول سبتمبر 1902 مقال بعنوان عيد الخليفة والإسلام المرجع السابق ص 143 .

أعداء الجامعة الإسلامية

استمرت فكرة الدعوة إلى الجامعة الإسلامية حديث الصحافة المصرية وفى ذلك الوقت ظهر اثنان من ألد أعداء الجامعة الإسلامية بل والإسلام ذاته هما جورجى زيدان الذى أنشأ دار الهلال وأصدر مجلة الهلال وأفسح المجال فيها للأقلام المعادية للإسلام، كما تولى جورجى زيدان الدعاية المضادة للسلطان عبد الحميد وتهيئة الأذهان لقبول إلغاء الخلافة إنطلاقاً من ولائه للماسونية وخدمته لإنجلترا وأخطر عمل قام به ضد الإسلام هو أن كتب بقلمه المغموس بمداد من السم الزعاف روايات تاريخ الإسلام ابتداء من صدر الإسلام حتى القرن التاسع عشر هذه الروايات الذى كان يقبل على قراءتها الشباب الذى كان يستهويه هذا النوع من القصص الممتع. وقد قرأت معظمها فى صدر شبابى وكانت تستهوينى مطالعتها إلا أننى اكتشفت فى حينها أن جورجى زيدان يدس السم فى العسل فيصور الجيوش الإسلامية بصورة الباحثين عن النساء الجميلات فى البلاد التى دخلوها لنشر الإسلام ويصور تاريخ الإسلام على أنه قصص الحب والغرام والرقص والغناء واستقطب مجموعة من الأقلام المعادية للخلافة والجامعة الإسلامية لتبث سمومها عبر مجلة الهلال (1) التى قام بإنشائها لهذا الغرض.

أما عدو الإسلام الثانى فى ذلك الوقت هو لطفى السيد الذى لقبه سماسرة الغزو الثقافى بأستاذ الجيل، فكتب فى صحيفة (الجريدة) يقول « إن الجامعة الإسلامية ليست موجودة وجوداً حقيقياً كما أنها ليست مقصداً من المقاصد التى يسعى المسلمون لتحقيقها» (2).

ويرى لطفى السيد الدين ليس بكاف وحده ليجمع بين الأمم إذ لا يجمع بين الناس سوى المنافع .

وعندما هجمت إيطاليا على ليبيا قامت صحف الحزب الوطنى بالدعوة إلى مساعدة الدولة العثمانية فى حربها ضد الإيطاليين فى ليبيا كتب لطفى السيد مجموعة من المقالات بعنوان (سياسة المنافع لا سياسة العواطف) يعارض فيها هذه

---

(1) الجريدة 7 سبتمبر 1909 مقال بعنوان عليكم أنفسكم .
(2) العلم 31 أكتوبر 1911 مقال بعنوان « إلى مدير الجريدة أى عدو نفسه» .

الدعوة فيقول : « إنه يجب على الذين يعملون لمصلحة بلدهم ألا يجعلوا الدين فى هذه الظروف- قاعدة لأعمالهم السياسية بل يجب عليهم أن ينفوا عنهم اليوم كما نفوا عنهم فى الماضى كل تهمه من تهم التعصب الدينى ولقد علموا أن هذه التهمة كانت من أكبر الذرائع التى تذرع بها الإنجليز فى البقاء فى مصر ويتذرعون بها إلى اليوم ثم أعلن لطفى السيد أنه يقول : ذلك تطبيقاً لمذهبه الذى طالما نادى به وهو أن أعمالنا السياسية قاعدتها المنفعة والغرب يحاربَ بهذا السلاح فمن الخطر الشديد ألا نقلده فيه».

عبد العزيز جاويش يواجه لطفى السيد

هذا الإفك المبين قيض الله للرد عليه رجلا من رجالات الإسلام فها هو الشيخ عبد العزيز جاويش يكتب فى صحيفة(العلم) موجهاً إلى لطفى السيد خطاباً مفتوحاً بدأه مخاطباً إياه مطلقاً عليه (عدو الإسلام) فقال : « أى عدو الإسلام نقمت منا أن ندعو المسلمين لنجدة المسلمين ونستنفر الموحدين لإغاثة الموحدين فماذا كنت تريد ؟ أردت أن نتقدم إلى البابا بيد مبسوطة ورؤوس خاشعة وأدعية ضارعة أن يدفع عنا بلاء أمة تقول بصليبه وتدين بمذهبه إذن لقد ضل عقلك وخطل رأيك ».

ثم تساءل فى هذا المقال : « خبرنا ماذا كنت تريد من مخالفتك الاجماع ومناهضتك أهل البر والمروءة»؟ أردت أن يضع الفرنجة على رأسك الأكاليل أم أردت أن تجهز بمعاداة العالم الإسلامى لتطابق بين العمل والعقيدة، . . . . لقد ضلت والله مذاهبك وشاهت غايتك».

«إن واجبى نحو دينى ووطنى هو كل شىء فى حياتى أما بناتى فلهم الله» (1).

وحينما تولى تحرير اللواء بعد أن ترك منصباً رفعياً فى وزارة المعارف كتب الافتتاحية التى بدأها يقول : « بعونك اللهم قد استدبرت حياة زادها الجبن وخور العزيمة ومطيتها الدهان والتدليس فى أسواقها النافقة تشترى نفيسات النفوس بزيوف الفلوس وتباع الذمم والسرائر بالابتسام وهز الرؤس .

---

(1)مات عبد العزيز جاويش تاركاً أطفالا ستة وديوناً كثيرة وهو ثالث أقطاب الحركة الوطنية الإسلامية بعد مصطفى كامل ومحمد فريد .

وبينك اللهم أستقبل فاتحة الحياة الجديدة حياة الصراحة فى القول . حياة الجهر بالرأى . حياة الإرشاد العام حياة الاستماته فى سبيل الدفاع عن البلاد العزيزة أستقبل هذه الحياة بعد أن قضيت فى سابقتها ثمانى حجج بلغت فيها ذلك المنصب الذى كنت فيه ما بين محمود عليه ومرجو فيه، استقبل هذه الحياة المحفوفة بالمخاطر منبرياً فى ميدانها فإما إلى الهدر(1) وإما إلى القبر موقناً بما أعده الله لعباده الصالحين المخلصين من النصر والفتح المبين عازما أن :

الحى لا يموت إلا مرة والموت أحلى من حياة مرة

فلنتمسك بهذا المبدأ الشريف ما حيينا ولنعتصم به ما بقينا ولنرفع أصواتنا حتى نطرق بها أبواب السماء فتنزل المقت والسخط على من دخل بلادنا وقبضوا بأيدى جبروتهم على نواصينا واستخدموا فى سبيل إصابة غرضهم أفراداً إذا لاقوكم قالوا : إنا لكم وإذا خلو إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنا نحن مسنهزئون .

ويسأل الله فى افتتاحية اللواء :

(لساناً ناطقاً بالصواب ولاعلم له فى ميادين الفحش والسباب فما أحوج الأمة إلى كلمة يستحقونها .

وما أضمن الجرائد أن تتضامن وتتعاون على البر والتقوى وما أخلقها أن تجتمع حتى تكون يدا واحدة على أعدائها يحذرونها ويخشون بطشها وما أحراها أن تعلم أنها بتفرقها وتخاذلها أنما تشمت عدواً مبيناً وتكمد صديقاً شفيعاً فأرسل اللهم على قاده هذه الأمة ومرشديها من عندك روحاً يجمع شتيتهاويوحد كلمتها ويعصم أقدامها من الذلل وآرائها من الخطأ والخطل واستمر الشيخ عبد العزيز جاويش يهاجم قلاع الغزو الثقافى ويتصدى لسدنته فأخذ يستعدى شيوخ حزب الأمة على لطفى السيد فقال «أى عدو نفسه تزعم أن لك حزبا من ذوى التفكير والرأى فهل هذا كل أراء حزبك ومبلغ إذاً فلتفز مصر فى شيوخ من أبنائها راهقوا الثمانين من عمرهم فهم زمرتك الطائشة الرعناء كالكرة بين أقدام اللاعبين» .

وأخذت صحيفة العلم تنشر فى أعدادها برقيات تهل إليها من أفراد الشعب المصرى تستنكر أراء وخطة لطفى السيد فى الحرب التى تشنها إيطاليا على ليبيا (2) .

(1) الهَدْر : ترديد الصوت فى الحنجرة. (2)صحوة الرجل المريض .

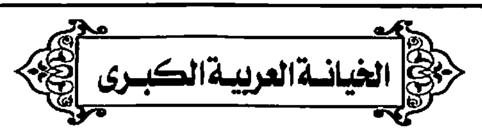
الخيانة العربية الكبرى

سقوط دولة الخلافة

سقوط الخلافة فى الأدب الإسلامى

قصيدة شوقى فى الغاء الخلافة

موقف الأزهر من إلغاءالخلافة



الخيانة العربية الكبرى

استمر الاتجاه المؤيد للدولة العثمانية والجامعة الإسلامية مسيطرا على كتابات الجزء الأكبر من الصحفيين المصريين حتى نشوب الحرب العالية الأولى ودخول تركيا الحرب فى صف ألمانيا وضد إنجلترا فكانت أن فرضت إنجلترا حمايتها على مصر وقطعت آخر خيط بالدولة العثمانية .

وسنحت الفرصة للأقطار العربية فرصة الانشقاق عن الدولة العثمانية وانتهز الحلفاء هذه الفرصة الذهبية فنفخوا فى قربة القومية وقام لورانس الداهية فأشعل الحماس القومى وأثار العرب على الأتراك [1] فثار الشريف حسين فى الحجاز وأهل الشام فى الشام وانضموا إلى جيوش الحلفاء وقاد لورانس هذه الجيوش فى زحفها إلى القدس لإخراج جيوش الدولة العثمانية وكان لورانس ضابط الاستخبارات البريطانية يعمل مستشاراً للشريف حسن وأولاده ورافق فيصل الأول فى دخول دمشق يقول لورانس :

« هل تتغلب القومية ذات يوم على النزعة الدينية وهل يغلب الاعتقاد الوطنى المعتقدات الدينية وبمعنى أوضح : هل تحل المثل العليا السياسية مكان الوحى»[2] .

وهكذا ساهم الشريف حسين فى هزيمة دولة الخلافة الإسلامية طمعاً فى وعود كاذبة من أعداء الإسلام بتحقيق حلمه بتوليته منصب الخلافة .

وخدعه الأفاك لورانس الذى قال فى إحدى تصريحاته لرجال الصحافة (أنى أؤيد الصهيونية إنى أعتبر اليهود النقلة الطبيعية للخميرة الغربية الضرورية جدا لدول الشرق الأدنى ويؤكد ذلك مرة ثانية .

(وإنى أؤيد الصهيونية وأن اليهود لابد أنهم سوف يحولون فلسطين إلى دولة منظمة جدا كأنها دولة أوروبية باستخدام مهارتهم ورأس مالهم) .

ووصل اندفاعه الصهيونى إلى حد مخاطبه مطران القدس بقوله عن

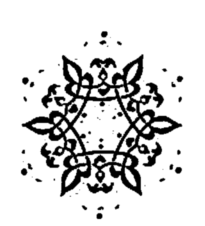
---

(1) صحوة الرجل المريض موفق بنى المرجة ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين أبو الحسن الندوى .
(2) تجديد الفكر القومى د. مصطفى الفقى .

وايزمان (إنه رجل عظيم لا تستحق أنت ولا أنا نمسح حذاءه) [1] .

نستطيع بعد هذا العرض الوجيز أن نقف فى صف المؤرخين الذين يعتقدون أن الثورة العربية الكبرى (الخيانة العربية الكبرى) كانت محاولة لتصفية الوجود العثمانى فى المشرق العربى موازية لمحاولات أخرى لإنهاء الوجود العثمانى فى مناطق أخرى فى أوروبا وآسيا يقول الدكتور عبد العزيز الشناوى فى كتابه الشهير عن الدولة العثمانية قائلاً :

«أفاقت الحكومات والشعوب الأوروبية التى خضعت للدولة العثمانية لتجد نفسها تخضع لأول مرة فى تاريخها لحاكم مسلم ومن ثم عملت جاهدة على تصفية هذا الوجود الإسلامى العثمانى من أراضيها وأسهمت معها دول أوروبية لم يمتد إليها الحكم العثمانى ولكن جمعت بينها وحدة الهدف فى الانتصار للمسيحية والقضاء على الإسلام ودعم مصالحها الاستعمارية بتوزيع الممتلكات العثمانية أسلابا بينها [2] .



(1) صحوة الرجل المريض .
(2) الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها د. عبد العزيز الشناوى الجزء الأول صـ16 .



سقوط دولة الخلافة

وسقطت القلعة التى كان يحتمى بها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها وساهمت فى ذلك اليهودية العالمية والصليبية وذلك بتشجيع دعاة القومية والبعث العربى لتحطيم الوحدة الإسلامية التى تمثلها الخلافة العثمانية ولتمزيق العالم الإسلامى الواحد إلى أجزاء يسهل ابتلاعها وفرض الوصايا عليها كما يصعب قيام دولة إسلامية كبرى تضم المسلمين تحت راية الإسلام ويصف الشيخ القرضاوى سقوط الخلافة بأنها كارثة زلزلت مشاعر المسلمين واضطرب لها قاصيهم ودانيهم وثار المسلمون هنا وهناك وعقدوا المؤتمرات ولكنها باءت جميعا بالفشل وتمزقت أرض الإسلام إلى اليوم وقرت عين الاستعمار والصهونية بهدم تلك الدولة الكبرى وقيام الدويلات المتفرقة هنا وهناك [1] .

وكان سقوط عبد الحميد الثانى مقدمة ضروروية لهدم الخلافة الإسلامية وقهر شعار « الجامعة الإسلامية» والتخلص من شبح الجهاد الذى كان يقض مضاجع الصليبية [2] .

يقول برنارد لويس :

«وهدمت الخلافة وقام مقامها عدد من الملوك والرؤساء والديكتاتوريين الذين دبروا لمده معينة أمرهم وربحوا تصفيق وتأييد شعوبهم ولكنهم لم يكونوا أبدا موضع الرضا التام والقبول الطبيعى والولاء الأكيد الذى كان ممنوحا لحكومة السلطان الشرعية وبضياع الشرعية والولاء خسر أهل الشرق الأوسط هويتهم الواحدة القديمة فبعد أن كان كل مواطن عضوا من أعضاء إمبراطورية إسلامية كبيرة يزيد عمرها على ألف سنة أو تزيد من التراث والتاريخ وجد الناس أنفسهم مواطنين لسلسلة من الدول التابعة والوحدات السياسية المفتعلة والتى تحاول الآن إيجاد جذور لها فى ضمير الشعب وولائه وصاحب تفسخ وانهيار النظام السياسى القديم على أية حال انحلال اجتماعى

---

(1) الحلول المستوردة وكيف جنت علينا .

(2) صحو الرجل المريض موفق بن المرحة ص 274 .

وثقافى مواز له وربما كان النظام القديم فى حالة تفسخ ولكنه على أية حال كان قائما بوظيفته حيث كان جميع فئات الشعب فى إطار واحد ثم دمرت الأساليب القديمة وسخر من القيم القديمة ثم أهملت وقام محلها مجموعة من المؤسسات والقوانين والمقاييس الوضعية المستوردة من الغرب والتى بقيت لمدة طويلة غريبة عن أحاسيس وآمال المسلمين فى الشرق الأوسط(1)

وكانت الحركة الوطنية المصرية قبل « سعد زغلول » وثورة 1919كانت حركة ذات صبغة إسلامية فقد واجه «**أحمد عرابى** » ومن بعده « **مصطفى كامل** » سلطة الاحتلال الأجنبى وهما يقفان تحت مظلة أمير المؤمنين خليفة المسلمين العثمانى بل لعلنا نذكر كيف خذل الخليفة العثمانى الثورة العرابية فى آخر مراحلها وكان موقفه ضد عرابى فى النهاية واحدا من أسباب هزيمة العرابيين كما أن الحزب الوطنى الذى أسسه وتزعمه« **مصطفى كامل** » كان حزبا يحظى« برضاء الخليفة العثمانى ، وهو الذى منحه درجة الباشوية دعماله وتأييداً لاتجاهاتة . ولم يتوقف تأثير التيار الإسلامى فى الحركة الوطنية إلا بالثورة الشعبية التى قادها الشعب المصرى بزعامة « **سعد زغلول** » الذى طرح بدائل أخرى أهمها :

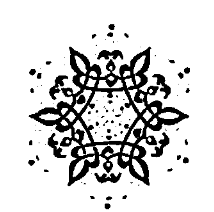
الوحدة الوطنية لحركة المقاومة ضد الاستعمار البريطانى والتركيز على ما أطلق عليه فى وقته« القومية المصرية»(2) .

وكتب شكيب أرسلان 1930بعد الخلافة يقول : « إنه لما سقطت الخلافة وتصدعت الوحدة ساءت الحال وتفرق الشمل وذل العرب وبعد أن كان الناس لهم خدما صار العرب خدما للناس هذه هى الخلافة التى يقول بعض الناس اليوم إنها لم تفد الإسلام بشىء بل إنها كانت وبالا على المسلمين وما كان وبالا على المسلمين إلا ابتلاؤهم بالشقاق والتقاطع ولاسيما العرب الذين هم كما قال النعمان بن المنذر لكسرى : «تراهم كلهم ملوكا وكل أمة يريد جميع أفرادها أن يكونوا ملوكا ينتهى أمرها بإن يملك أمرها الأجانب» (3) .

---

(1) الغرب والشرق الأوسط ص61 برنارد لويس نقلا عن الحلول المستورده للشيخ القرضاوى .
(2)تجديد الفكر القومى . د. مصطفى الفقى ص18 .
(3) صحوة الرجل المريض موفق بنى المرحة ص137 .

كان سقوط الخلافة الإسلامية زلزالا مروعا هز كيان العالم الإسلامى وكان من توابعة تمزق العالم الإسلامى وتفتيته إلى كيانات صغيرة واستعمار العديد من الدول العربية والإسلامية ومن توابعه أيضاً اغتصاب فلسطين واقتطاعها من جسم الأمة العربية الإسلامية وتسيلمها لليهود غنيمة باردة ومازالت توابع الزلزال تهز كيان العالم الإسلامى فلا تخلو دولة إلا وزرع الاستعمار الغربى فيها مشكلة يصعب حلها .



سقوط الخلافة فى الأدب الإسلامى

الأدب شعرا كان أو نثرا هو مرآة الأمة يعكس صورتها وأحداثها وانتصاراتها وانكساراتها هو اللسان الناطق المعبر عن أفراحها وأتراحها كما يقول أحمد شوقى :

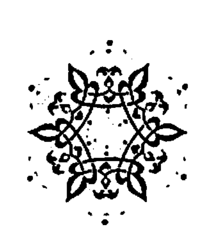
كان شِعْرى الغناء فى فرح الشرقِ ... وكان العَزاء فى أحزانه

قد قضى الله أن يؤلفنا الجُرح ... وأن نلتقى على أشجانه

كلما أنَّ بالعراق جريح ... لمس الشرق جنبه فى عمانه

وعلينا كما عليكم حديدٌ ... تتنزَّى [1] الليوثُ فى قضبانه

نحن فى الفكر بالديار سواءٌ ... كُلّنا مشفق على أوطانه



(1) تتنزى : تثب وتسرع .

قصيدة أحمد شوقى إلغاء الخلافة (*)

عـادَتْ أغـاني العُـرْس رَجْعَ نواحِ ونُعـيت بين مـعـالم الأفـراحِ(1)
كُـفنْتِ فى ليلِ الزَفـاف بثـوبه وَدُفِنْت عند تبلُّج الإصـبـاحِ(2)
شُـيِّعْتِ من هَلَع بَعبْـرَة ضـاحك فى كلِّ ناحـيـةٍ وسَكْرة صـاحِ(3)
ضـجَّتْ عليكِ مـآذنٌ ومنابرٌ وبـكـتْ عـلـيـك ممـالـكٌ ونـواحِ
الهندُ والهـةٌ ومـصْـرُ حـزينةٌ تبكى عليكِ بمدمع سَـحَّـاحِ(4)
والشـامُ تسـألُ والعـراقُ وفـارسٌ أمَـحَـا من الأرضِ الخـلافـةَ مـاحِ؟
وأتَتْ لك الجُـمَعُ الجـلائلُ مـأتمًا فـقَـعَـدْنَ فـيـه مـقـاعـدَ الأنواحِ(5)
يا لَلرجـال لحُـرَّةٍ مَـوْءُودَةٍ قُـتلَتْ بغـيـر جـريرةٍ وجُناحِ(6)
إن الذين أسَتْ جـراحَكِ حـربُهُمْ قـتلَتْكِ سلْمُـهُمُ بغـيـر جِـراحِ(7)
هتكوا بأيديهمْ مُـلاءة فـخْـرِهـمْ مَـوْشِـيَّـةً بمواهب الفَـتَّـاحِ(8)
نَزعـوا عن الأعناق خـيـر قـلادةٍ ونضـوا عن الأعْطَاف خيـرَ وِشَاحِ(9)
حَـسَـبٌ أتى طُولُ الليـالى دُونَه قـد طاحَ بينَ عَـشِـيَّـةٍ وصـبـاحِ(10)

(*) نشرت سنة 1924 وبالشوقيات الطبعة الثانية 1 / 106 كان مجلس أنقرة الكبير ومصطفى كمال قد أعلنوا فى منشور رسمى يوم أسسوا الحكومة التركية فى أنقرة مقصدهم من ثورتهم على الدول الأجنبية المحتلة هو إنقاذ الخلافة الإسلامية. وإنقاذ الخليفة الأسير فى استانبول من قبضة الإنجليز، وأبلغوا هذا المنشور إلى سكان تركيا وإلى العالم الإسلامى. فلما انتهت الحرب بانتصار الأتراك سنة 1923م كان أول ما فعله مصطفى كمال والجمعية الوطنية بأنقرة إلغاء الخلافة فى مارس 1924م. بعد زعم مصطفى كمال أنه ثار ليسترد عزة الخلافة، ونغوا الخليفة من تركيا وهو السلطان عبد المجيد. وإلى هذا أشار شوقى بقوله إنها كفنت بثوبها ليلة زفافها. وقد رثى شوقى. ونبه العالم الإسلامى إلى إسداء النصح لمصطفى كمال، لعله يبنى ما هدم.

(1) رجع نواح: عويل يتردد صوته. معالم الأفراح: مظاهرها.

(2) تبلج الإصباح: إشراقه وإنارته. (3) هلع: جزع شديد. عبرة: دمعه

(4) والهة: حزينة. مدمع سحاح: كثير منصب.

(5) الجُمَع: جمع جمعة وهى الصلاة المفروضة بهذا الاسم. الأنواح: لنائحات.

(6) الموءودة: التى تدفن فى التراب حية. جناح: إثم. (7) أست جراحك حربهم: داوتها.

(8) هتكوا: خرقوا. موشية: منقوشة. الفتاح: الله سبحانه وتعالى.

(9) نضوا: خلعوا. الأعطاف: جمع عطْف على وزن بئر وهو الجانب. وشاح شبه قلادة تنسج من جلد وترضع بالجوهر تشدها المرأة بين عاتقَها وكشحيها.

(10) طاح: ذهب.

وعَلاقَةٌ فُصِمَتْ عُرَى أسبابها ... كانت أبرَّ علائقِ الأرْوَاحِ

جَمَعتْ على البرِّ الحُضُورَ وربَّما ... جَمَعَتْ عليه سرائر النُّزَّاحِ [1]

نَظَمَتْ صُفوفَ المسلمين وخَطْوهُمْ ... في كلِّ غُدْوَةِ جُمْعةٍ ورَواحِ

بكت الصلاةُ وتلك فِتْنَةُ عابثٍ ... بالشَّرْعِ عِرْبِيدِ القضاء وَقاحِ [2]

أفتَى خُزَعْبَلَةً وقال ضَلالةً ... وأتى بِكُفْرٍ في البلاد بَوَاحِ [3]

إن الذين جَرَى عليهم فِقْهُهُ ... خُلِقُوا لفِقْهِ كتيبةٍ وسلاحِ

إن حَدَّثُوا نطقوا بخُرْسِ كتائبٍ ... أو خُوطِبُوا سَمِعُوا بصُمٍّ رماحِ [4]

أستَغْفِرُ الأخلاقَ لستُ بجاحدٍ ... مَنْ كُنتُ أدفعُ دونَهُ وألاحي [5]

مالي أُطَوِّقُهُ الملامَ وطالما ... قلَّدته المأثور من أمداحي

هو ركنُ مملكةٍ وحائطُ دولةٍ ... وقريعُ شهباءٍ وكَبْشُ نِطَاحِ [6]

أقولُ مَنْ أحيا الجماعةَ ملحِدٌ ... وأقولُ مَنْ ردَّ الحقوق إباحي؟

الحقُّ أولى مِنْ وَلِيِّكَ حُرْمةً ... وأحقُّ منكَ بنصرةٍ وكِفاحِ

فامدحْ عَلَى الحق الرجالَ ولُمهُم ... أو خَلِّ عنك مواقفَ النُّصَّاحِ

ومِنَ الرجال إذا انبريْتَ لهدمِهِم ... هَرَمٌ غليظُ. منا كِب الصُّفَّاحِ [7]

فإذا قَذَفْتَ الحقَّ في أجلادِه ... تَركَ الصِّرَاعَ مُضَعْضَعَ الألواحِ [8]

أدُّوا إلى الغازي النصيحة يَنْتَصِحْ ... إن الجوادَ يثوبُ بعد جِمَاحِ [9]

إنَّ الغرورَ سقى الرئيسَ براحِهِ ... كَيفَ احتيالُكَ في صريع الراحِ؟ [10]

(1) البر: الخير والرفق. النزاح: جمع نازخ وهو البعيد.
(2) عربيد: شرير سيئ الخلق. وقاح: وقح قليل الحياء.
(3) خزعبلة: أضحوكة أو باطل. براح: واضح بين.
(4) خرس كتائب: فرق من الجيش لا يسمع لها صوت. صم رماح صلبة.
(5) أدفع دونه: أدافع عنه وأرد على خصومه. ألاحي: أنازع وأخاصم.
(6) قريع: غالب في المقارعة وهي تضارب الأبطال. شهباء: كتيبة عظيمة كثيرة السلاح.
(7) مناكب: جمع منكب والمراد هنا الناحية. الصفاح: حجارة عريضة رقيقة.
(8) أجلاده: أجلاد الإنسان وتجاليده جمسه، جمع جلد.
(9) الغازي: مصطفى كمال.
(10) الرئيس: مصطفى كمال. الراح: الخمر.

نَقَلَ الشرائعَ والعقائدَ والقُرى ... والناسَ نَقْلَ كتائبٍ في السَّاحِ[1]

تركته كالشَّبحِ المؤلَّه أُمَّةٌ ... لم تَسْلُ بعدُ عبادةَ الأشباحِ

هُمْ أطْلقوا يَدَهُ كقيصرَ فيهمُ ... حتى تناولَ كُلَّ غيرِ مُباحِ

غَرَّتْهُ طاعاتُ الجموعِ ودولةٌ ... وَجَدَ السَّوادُ لها هوى المُرْتاحِ

وإذا أخذتَ المجدَ مِنْ أمَيَّةٍ ... لم تُعْطَ غيرَ سرابِهِ اللَّمَّاحِ[2]

مَنْ قائلٌ للمسلمين مقالةً ... لم يوحِها غيرَ النصيحة وَاحِ

عَهْدُ الخلافة فيَّ أول ذائد ... عن حوضها بيراعه نَضَّاحِ[3]

حب لذات الله كان ولم يزَلْ ... وهوًى لذات الحقِّ والإصلاح

إني أنا المصباحُ لستُ بضائع ... حتى أكون فَراشَةَ المصباحِ[4]

غزواتُ أدْهَم كُلِّلَت بذوابلي ... وفتوح أنورَ فُصِّلَتْ بصفاحي[5]

ولَتْ سيوفُهما وبان قَناهما ... وشَبا يراعي غيرُ ذات بَراحِ[6]

لا تبذلوا بُرْدَ النبي لعاجزٍ ... عُزُلٍ يدافعُ دُونَه بالراحِ[7]

بالأمس أوْهَى المسلمين جراحةً ... واليوم مد لهم يَدَ الجرَّاحِ[8]

فلَتَسْمَعُنَّ بكل أرضٍ داعيا ... يدعو إلى الكذاب أو لسَجاحِ[9]

ولَتشْهَدُنَّ بكل أرض فتنةً ... فيها يباعُ الدينُ بَيْعَ سماحِ

يُفْتَى على ذهب المُعِزِّ وسَيْفِهِ ... وهوَى النفوس وحقدها الملحاحِ[10]

---

(1) الساح: جمع ساحة. والمراد ميدان الحرب.

(2) اللماح: اللماع.

(3) ذائد: مدافع حام. نضاح: مدافع.

(4) الفراشة: حشرة ذات جناحين تطير وتتهافت على السراج حتى تحترق.

(5) دوابلي: رماحي الصلبه جمع ذابل. صفاحي: جمع صفيح وهو عرض السيف والمراد بالرماح والسيوف أقلامه. أدهم وأنور: قائدان تركيان كبيران.

(6) القنا: جمع قناة وهي الرمح. شبا: جمع شباة وهي حد كل شيء. براح: زوال.

(7) لا تبذلوا مقول القول في البيت الخامس والثلاثين. عاجز: ضعيف. عزل: أعزل غير مسلح والمراد الحسين بن علي شريف الحجاز حينئذ. لأنه كان يطمح في الخلافة.

(8) بالأمس أوهى... إلخ: إشارة إلى انضمام الشريف حسين إلى بريطانيا وحلفائها في الحرب الكبرى الأولى.

(9) الكذاب: مسليمة الكذاب وهو من بني حنيفة باليمامة. وفد على النبي في قومه سنة 9 هـ وأسلم فلماعاد إلى اليمامة ارتد وادعى النبوة. قتل في حروب الردة.

(10) سجاح: شاعرة من تميم ادعت النبوة. تزوجها مسيلمة. ثم أسلمت.

=

ويقول شوقى عن الخالفة وما أصابها عن الكماليين

وَأنا الَّذى مرَّضْتُها في دائها ... وجمعتُ فيه عواطفَ العُوَّادِ
غَنَّيْتُها لحناً تَغَلْغَلَ في الْبُكا ... يا رُبَّ باكٍ في ظَواهر شادِ
ونصرتُها نصرَ المُجاهد في ذُرى ... عبدِ الحميد، وفي جناحِ رشادِ
وَدَفَنْتُها وَدفنتُ خيرَ قصائدى ... معها، وطالَ بقبرِها إنْشادى
حتَّى اتُّهِمْتُ فقيلَ: تُرْكِيُّ الْهَوَى ... صَدَقُوا، هَوَى الأبطالِ ملْءُ فُؤادى
وأخي الْقَريبُ، شَقيتُ بظُلْمه ... أدنى إليَّ من الغريبِ العادى
واللهُ يعْلَمُ ما انفردتُ وإنَّما ... صوَّرتُ شعرى من شعورِ الْوادى
كُنَّا نُعظِّمُ للهلالِ بقيةً ... في الأرضِ منْ مجدٍ ومنْ أجْنادِ
وجْهُ الْقضيةِ غيَّرتْهُ حوادثٌ ... أعطتْ بأيدِ غيرِ ذاتِ أيادِ
منْ سيِّدٍ بالأمسِ نُنْكِرُ قولَهُ ... صرْنا لفعَّالٍ من الأسيادِ
مضت الخْلافةُ والإمامُ فهلْ مضى ... ما كانَ بينَ اللهِ والْعُبَّادِ؟!
واللهِ ما نسى الشَّهادةَ حاضرٌ ... في المسلمينَ، ولا تردَّدَ بادِ

ويقول شوقى عن جهود أعداء المسلمين خلال القرون الطويلة لهدم الإسلام وخلافته.

قل للخلافة قول باك شمسها ... بالأمس لما آذنت بدلوك
يا جذوة التوحيد هل لك مطفىء ... والله - جل جلاله- مذكيك
خلت القرون وأنت حرب ممالك ... لم يغف صدك أو ينم شانيك
يرميك بالأمم الزمان، وتارة ... بالفرد واستبداده يرميك
عودى إلى ما كنت فى فجر الهدى ... (عمر) يسوسك (والعتيق) يليك

وحينما سقطت الآستانة عاصمة دار الخلافة أثناء الحرب العالمية الأولى واحتلتها جيوش الأعداء من الفرنسيين والانجليز والإيطاليين وسيطروا فيها على كل شىء حتى أصبح خليفة المسلمين سجيناً أو كالسجين عبَّر حافظ إبراهيم عن شعور المسيحيين إزاء هذا الحدث الكبير حيث يقول :

= المعز : المعز لدين الله الفاطى. فتح وزيره القائد جوهر الصقلى مصر سنة359هـ ووفد المعز إليها سنة971 م والمراد بذهبه المال الذى كان يبذله لمن أطاعوه. والمراد بسيفه العقاب الذى ينزله بمن خالفوه.

أيا صُوفْيا حانَ التَّفرُّقِ فاذْكُرِى عُهُودَ كِرامٍ فِيكِ صَلُّوا وَسَلَّمُوا

إذا عُدْت يَوْماً للصَّليب وأهْله وَحَلَّى نَواحِيكِ المسِيحُ ومَرْيَمُ

فَلاَ تُنْكِرى عَهْدَ المآذنِ إنّه عَلَى الله منْ عَهْدِ النَّوَاقِيسِ أكْرمُ

يقول أحمد شوقى فى قصيدة مطولة بمناسبة سقوط أحد المدن التى قام بفتحها الخلفاء من آل عثمان نذكر منها هذه الأبيات : الأندلس الجديدة (*)

يا أختَ أندلُسٍ عليك سلامُ هوت الخلافةُ عنكِ والإسلامُ (1)

نزل الهلالُ عن السماء فليتَها طُويتْ وعمَّ العالمين ظلام

أزرَى به وأزالَه عن أوجه قدرٌ يحطُّ البدرَ وهو تمام(2)

جرحان تمضى الأمتان عليهما هذا يَسيلُ وذاك لا يلتام(3)

بكما أصيبَ المسلمون وفيكما دُفنَ اليَراعُ وغُيِّب الصَّمصام(4)

لم يُطو مأتُمها وهذا مأتمٌ لبسوا السوادَ عليكِ فيه وقاموا (5)

ما بين مَصرعِها ومَصْرَعِكِ انقضت فيما نحبُّ ونكرهُ الأيام

خلت القرونُ كليلة وتصرَّمَتْ دُوَلُ الفتوحِ كأنها أحلام(6)

ثم يتحدث شوقى عن المجاهدين الغازين فى سبيل اللهالذين حموا الخلافة فكانت سيوفهم عصمة للأوطان(7) .

(*) الشوقيات الطبعة الثانية 1 / 287 .

قالها شوقى لما تغلب البلغار على أدرنة فى الحرب التى دارت بينهم وبين تركياسنة 1912م .

أدرنة : مدنية تركية فى تراقية بأروبا ، أسسها الإمبراطور دريان حوالى سنة125م ، ذات موقع حصين . تملكها الأتراك سنة1361م ، وصارت قصر سلاطينهم وبها مقابر كثير منهم ، حتى فتحت القسطنطينية سنة 1453م . استولت بلغاريا عليها فترة قصيرة فى أثناء الحرب البلقانية سنة 1913م ثم أعطيت لليونان سنة . 1920مثم أعيدت إلى تركيا سنة1923م .

(1) خلت : مضت ، تصرمت : انقضت .

(2) ديوان شوقى الجزء الأول ص385وما بعدها .

(3) همام شجاع .

(4)تستعصم : تحتمى . ظباته : جمع ظبه : وهى حد السيف . قناته : رمحه

(5) خفت : سكت . الجمع : جمع جمعه وهى صلوات الجمعه .

(6) خلت : مضت ، تصرمت : انقضت .

(7) ديوان شوقى الجزء الأول ص385وما بعدها .

عـرْضُ الخـلافـة ذادَ عنه مـجـاهدٌ ... في الله غـازٍ، في الرســول هُمــام[1]

تسـتـعـصمُ الأوطانُ خلفَ ظُبـاته ... وتَـعـزُّ حــول قَــناته الأعــلام[2]

خـفَت الأذانُ فـمـا عليك موحِّـدٌ ... يَسـعى ،ولا الجُـمَعُ الحسـانُ تُقـام[3]

وخَبَتْ مسـاجـدُ كنّ نوراً جـامـعاً ... تمشـي إليــه الأســدُ والآرام[4]

يَدْرُجْن في حَـرَم الصـلاة قـوانتـاً ... بيــضَ الإزار كـأنــهن حَـمـام[5]

هذه تحية من أحمد شوقي يقدمها إلى دولة الخلافة يذكر فيها عمق الرابطة بين مصر وتركيا وولاء مصر لدولة الخلافة التي بيدها مستقبل الخلافة الإسلامية والإسلام تحية للترك(*) .

الدهر يقظانُ والأحــداثُ لم تَنَم ... فــمــا رُقــادُكُم ياأشــرفَ الأمم؟

لعلكم من مراس الحرب في نَصَبٍ ... وهذه ضـجـعـة الآسـاد في الأجَم[6]

لقـد فتـحـتُم فـأعرضَـتُم على شَبَع ... والفـتـحُ يعـترضُ الدولات بالتُّـخم[7]

هذا الزمــان تناديكم حــوادثُه يا ... دولةَ الســيف كُــوني دولةَ القلم

فالسيفُ يَهْدِمُ فجراً مابنى سحَراً ... وكلُّ بنيــان علمٍ غــيــر مُنهــدم[8]

قد مات في السلم من لا رأيَ يعصِمُه ... وســوّت الحـربُ بين البَـهْم والبُـهَم[9]

وأصـــبح العلم ركن الآخـــذين به ... من لا يقم ركنه العـــرفـــان لم يقم

---

(1) همام شجاع.

(2)تستعصم: تحتمي. ظباته: جمع ظبه: وهي حد السيف. قناته: رمحه

(3) خفت: سكت. الجمع: جمع جمعه وهي صلوات الجمعه.

(4) خبت: سكت. الأسد: جمع أسد والمقصود بها الرجال الشجعان الذين كانوا يتوجهون إلى المساجد للصلاة. الآرام: جمع رئم وهي الظبي والمراد به النساء.

(5)يَدْرُجْن: يمشين.

(*) الشوقيات الطبعة الثانية 1/ 280 والمجلة المصرية 30ابريل 1901.

(6) مراس الحرب: ممارستها ومزاولتها. نصب: تعب. ضجعة: رقدة. الآساد: جمع أسد. الآجم جمع أجمة وهي الشجر الكثير الملتف.

(7) فتحتم: تغلبتم علي البلاد التي حاربتموها وملكتموها. التخم: جمع تخمة وهي الضيق بالطعام الكثير.

(8) معنى البيت أن السيف يقضي في وقت الفجرعلى ما يكون بناه في وقت السحر، فلا دوام لما يبنيه السيف.

(9) السلم: السلام. يعصمة: يحفظه ويصونه. البهم: بفتح الباء وسكون الهاء جمع بهمة على وزن وردة وهي ولد الضأن والمعز والبقر. البُهم: يضم الباء وفتح الهاء جمع بهمة على وزن غرفة الرجل الشجاع.

الناس تَسْحَبُ فَضْفاض الغنَى مرحاً ... ونحن نلْبس عنه ضيقة العُدُم(1)

يافتية الترك حيّا الله طلعتكم ... وصانكم وهداكم صادق الخدم(2)

أنتم غد الملك والإسلام لابرحا ... منكم بخير غد في المجد مُبْتَسم(3)

تُحِلُّكم مصرُ منها في ضمائرها ... وتعلن الحبَّ جَمّاً غير متهم(4)

فنحن إن بَعُدَتْ دارٌ وإن قَرُبَتْ ... جاران في الضَّاد أو في البيت والحَرم(5)

ناهيك بالنسب الشرقي من نسب ... وحبذا نسبُ الإسلام من رَحِم(6)

شملُ اللغات لَدَى الأقوام ملتئمٌ ... والضادُ فينا بشَمل غير ملتئم(7)

فقرِّبوا بيننا فيها وبينكمُ ... فإنها أوثقُ الأسباب والذِّمم(8)

وكلُّنا إن أخَذْنا بالفلاح يدٌ ... وسَعْينا قدمٌ فيه إلى قَدَم

فلا تكونُنَّ تركيا الفتاة ولا تلك ... العجوزَ وكونوا تركيا القدَم

فسَيْفُها سَيْفها في كل مُعْتَرك ... وعَدْلُها طَوق الإسلام بالنِّعم

بحمد الله ربِّ العالمينا ... وحمدك ياأمير المؤمنينا

ومن قصيدة انتصار الترك على اليونان (*) يقول أحمد شوقي :

---

(1) فضفاض : واسع . مرحا : اختيالا وسروراً . ضيقة العدم : سوء حال الفقر .

(2) الخدم : جمع خدمة والمراد العمل النافع الصالح

(3) أنتم غد الملك والإسلام : في أعناقكم مستقبل الملك والخلافة الإسلامية والإسلام .

(4) جما : كثيرا . غير متهم : خالصاً غير مشكوك في صدقه .

(5) الضاد : اللغة العربية . لأن حرف الضاد غير موجود في لغة سواها . وهنا إشارة إلى أن كثيراً من الأتراك حذقوا اللغة العربية وألفوا بها مؤلفاتهم . البيت والحرم : كناية عن الأخوة في الإسلام .

(6) ناهيك : كلمة تعجب واستعظام . معناها أن هذا الشيء غاية ما تطلبة فهو ينهاك عن طلب غيره . أي أن انتسابنا جميعاً إلى الشرق غاية ما يطلب من النسب بيننا وبينكم فلا تطلبوا نسبًا آخر . حبذا : فعل يستخدم في المدح مثل نعم .

(7)شمل : مجتمع . غير ملتئم : منفصم .

(8) الذم : جمع ذمة وهي العهد . نقلاً عن ديوان شوقي الجزء الأول الناشر نهضة مصر 398 ,399 .

(*) الشوقيات الطبعة الأولى صفحة 39 والطبعة الثانية 1 / 352 كان عنوانها (تحية للترك) احتلت تركيا اليونان كلها سنة1453م وفي مطلع القرن التاسع عشر ساورت اليونان أحلام الاستقلال ، وبدأت ثورة التحرر التي ساندها كثير من الأوروبيين سنة1821م فحالفها التوفيق . ولكن شوهها أن الثوار ذبحوا كثيرا من المسلمين بعامة ومن الأتراك بخاصة أينما وجدوهم . ولما هزم السلطان مرتين استنجد بمحمد على باشا والي مصر ليساعده في إخماد ثورة المورة . = = فأرسل إليه جيشها بقيادة ابنه إبراهيم . وتمكن=

لقينا فى عدوك ما لقينا الفتح والنصر المبينا
همْ شَهروا أذًى وشهرت حربا فكنتَ أجلَّ إقداماً وضربا[1]
أخذتَ حدودَهم شرقاً وغربا وطهَّرت المواقع والحصونا
وقبلَ الحربِ حربٌ منك كانت نتائجها لنا ظهَرتْ وبانَتْ
ألنْتَ الحادثات بها فلانَتْ وغادرْتَ القياصَر حائرينا [2]
جمعتَ لنا الممالك والشعوبا وكانت فى سياستها ضروبا

وفى قصيد عن الأسطول العثمانى [*] يقول أحمد شوقى :

هَزَّ اللواءَ بعزِّكَ الإسلامُ وعنَت لقائم سيفك الأيام [3]
وانقادت الدنيا إليكَ فحَسْبُها عُذْراً قيادٌ أسلَسَتْ وزمام[4]
ومشى الزمان إلى سَريرك تائباً خَجلاً عليه الذُلُّ والإرغام
عرشُ النبى محمدٍ جنَباتُه نورٌ ورَفرفُه الطَّهورُ غمَام[5]
لما جلَست سما وعزَّ كأنما هارونُ وابناه عليه قيام[6]

= إبراهيم من إنزال جنوده فى جنوب غربى المورة سنة 1825م واستولى على ميناء نوارين . وجعل يتوغل فى داخل البلاد ويستولى على أمهات المدن . ثم حاصر أثينا سنة1827م لكن الدول الأوروبية خشيت بأسه فتدخلت وحالت بينه وبين الانتصار النهائى . وأكدت معركة نوارين استقلال اليونان . ثم أكدت المعاهدة الروسية التركية سنة1829واعترفت أكثر الدول بهذا الاستقلال قامت بعد ذلك فى سنة1896-1897حرب بين اليونان وتركيا للحصول على جزيرة كريت وناصرت الدول الأوروبية اليونان فتمكنت من ضم كريت إليها سنة 1314 هـ (١٩١٣) . ثم حدثت تطورات بعد ذلك . أى بعد قال شوقى قصيدته .

(1)شهروا أذى : أعلنوه . شهرت حربا : أعلنتها .

(2)القياصر : جمع قيصر وهو لقب لملك الرومان القدماء ، والمراد هنا الملوك .

(*) الشوقيات الطبعة الأولى 1 / 282 و الهلا أول يونيه 1911كان شوقى بالآستانة ، وشاهد البارجتين اللتيناشترتهما الدول العثمانية من ألمانيا ، فأخذته هزه الطرب ، وعز عليه أن المسلمين فى أقطار الأرض قاعدين عن إعانة أسطول الخلافة الإسلامية ، فقال هذه القصيدة ، ووجه الخطاب فيها إلى السلطان محمد رشاد سنة1910 . وأشاد بالقوة الحربية . ودعا المسلمين إلى الجود بما للاستعداد الحربى .

(3)عنت : خضعت وذلت . (4) انقادت : أطاعت وأذعنت : أسلست : جعلته سهلا لينا ، زمام : المراد ما تصرف به الأمور . الخطاب فى البيتين للسلطان محمد رشاد .

(5)جنباته : جمع جنبة وهى الناحية . رفرفة : الرفرف من معانيه ثياب خضر تبسط ، وكسر الخباء وما تدلى من الفرس وكل ما زاد وثنى . الطهور : الطاهر المطهر لغيره .

(6)هارون : هارون الرشيد الخليفة العباسى . ابناه : الأمين والمأمون

البحرُ محشود البوارج دونه ... والبر تحتَ ظِلاله آجام[1]

نَعِم الرعيةُ فى ذَراكَ ونصَّرت ... أيامهم فى ظلكَ الأحكام[2]

فى كلٍّ ناحية وكل قبيلة ... عدلٌ وأمنٌ موركٌ ووئام[3]

وفى قصيدة عن السلطان عبد الحميد (*) لأحمد شوقى

رضى المسلمون والإسلام ... فرع عثمانَ دُمْ فداك الدوامُ[4]

كيف نُحصى على عُلاكَ ثناءً ... لك منك الثناءُ والإكرام

هل كلام العباد فى الشمس إلا ... أنها الشمسُ ليس فيها كلام؟

ومكان الإمام أعلى زمانٌ ... بأحاديثه يَتيه الأنام[5]

إيه عبد الحميد جلَّ زمان ... أنت فيه خليفة وإمام[6]

ما رأت مثل ذا الذى تبتنى الـ ... أقوامُ مجداً ولن يرَى الأقوام

دولةٌ شاد ركنها ألفُ عامٍ ... ومئاتٌ، تُعيدها أعوام[7]

وأساسٌ من عَهْدِ عثمانَ يُبنَى ... فى ثمانٍ، ومثلهن يُقام

حكمةٌ حال كلُّ هذا التَّجلى ... دُونَها أن تَنالها الأفهام

---

(1) البوارج: جمع بارجة وهى سفينة للقتال. آجام: جمع والأجم جمع أجمة وهى الشجر الكثير الملتف والأسود تتخذها مقرا لها. والضمير فى دونه وظلاله للعرش

(2) نعم الرعية: هدأ الناس واستراحوا وأخصبوا. فى ذراك: فى ملجئك.

(3) مورف: متسع ممتد. وئام: مودة ومحبة.

(*) الشوقيات الطبعة الأولى 111 والطبعة الثانية1 / 296 والأهرام 11 أغسطس 1893م كان العنوان (ضيف أمير المؤمنين) لأن شوقى نزل بالآستانة، فعلم أنه ضيف السلطان عبد الحميد مدة إقامته بها فقال هذه القصيدة.

(4) فرع عثمان: السلطان عبد الحميد

(5) يتيه الأنام: يباهى الناس.

(6) إيه: اسم فعل أمر للاستزادة من الحديث.

(7) شاد ركنها: رفع بناءها. الدولة التى شادت الأعوام ركنها هى الدولة الإسلامية منذ الرسول إلى المدنية.

يسأل الناسُ عندها الناس هل في النا ـــاس ذو المقلةِ التي لا تنام؟[1]

وحينما صدر الدستور العثماني في 23 يوليه سنة 1908هتف الشعراء بتأييده ولم تفت الفرصة أعداء الخلافة أن يقولوا إنه أجبر على الدستور إجبارا وكان يود أن يبقى حاكما مطلقا لولا قوة الجيش التي دفعته إلى تأييد الدستور لم يرتض الشاعر أحمد محرم هذا المسلك لأنه يريد أن تكون لخليفة المسلمين هيبته وأن تلتمس له الأعذار في بعض ما كان منه قال أحمد محرم:

يا آل عثمان من ترك ومن عرب وأي شعب يساوي الترك والعربا

إن الذي كان من عدل ومن شطط أمسى توارى وراء الدهر واحتجبا

لاتذكروا ما مضى من أمركم ودعوا ما جَرَّ بالأمس حكم الفرد أو جلبا

لا تكتموا الحق وارضوا عن خليفتكم واقضوا له من حقوق البِرِّما وجبا

لولا مواضيه والأهوال مُحْدقة بالملك أصبح في يدى العدى سلبا

تألبوا يحسبون الليث قد وهنت منه القوى فرأوها قوةَ عجبا

ياتاج عثمان إن اليوم موعدنا فجدد العهد وألق الحب والرغبا

لو ضاع عمرك أو حام الرجاء بنا على سواك لقينا الحين والعطبا

طال المدى وتمشت بيننا تهم لولا الهوى لم تدع قربى ولا نسبا

اليوم ننسخ ما قال الوشاه لنا ونترك الظن إن صدقاً وإن كَذِبا

وفي قصيدة أخرى يتحدث فيها عن عبد الحميد مدافعا عنه ضد الذين نالوا منه اليوم وقد كانوا بالأمس يكيلون الثناء والمديح فيقول:

ألمْ يَكُ ظِلُّ الله بالأمْسِ بَيْنَنَا نَلُوذُ به والخطب ضنك مَذاهبُهْ؟

---

(1)عندها: الضمير عائد على حكمة في البيت السابق. أي يسأل بعضهم بعضا هل فيهم مثلك يسهر على الملك ولا ينام؟

أُنطْرِيه قَهَّاراً، ونُؤْذِيه مُرهَقاً ... كَفَى اللَّيْثَ شَرا أن تُفل مَخالِبُه
أما في الثلاثين اللَّواتي تَصَرَّمَتْ ... ذِمَامٌ لمنكُوب تَوالَتْ نَوائِبُه؟؟
أكلُّ مَآتِيه ذُنُوبٌ؟ أكله ... عُيُوبٌ؟ ألاَ مِنْ مُنْصِف إذْ نُحَاسِبُه؟
ألَمْ يَسْتَطِرْ يَوْماً لخَطِب مُساوِرِ ... مُحَافَظَةً مِنْ أنْ تَسُوءَ عَوَاقِبُه
أكَانَ يُرِيدُ السُّوءَ بِالُملْك؟ أمْ يَرَى ... مَسَرَّتَهُ فِي أنْ تَرِنَّ نَوادِبُه
أكُلُّ ذَوِي التِّيجَانِ بِالْعَدْلِ قَائمٌ؟ ... أمَا فِيهمُ مَا لاَ تُعَدُّ مَثَالِبُه
ألَيْسَ الأُلَى غَشُّوهُ بالأذَى ... وأوفَى الْورَى بِالشَّرِّ مَنْ هُوَ جَالِبُه
هُمُ اكْتَنَفُوهُ بِالدَّسَائِسِ وَافْتَرَوْا ... مِنَ الْقَوْلِ مَا يَعْمَى عَنِ الرُّشْدِ كَاذِبُه

ويلتفت الشاعر إلى أبهة الماضي وجلال الغابر في عز السلطان ومنعة الخلافة فيقول[1] :

كَأنَّ جَلالَ الملكِ لهمْ يَبْدُ حَوْلَهُ ... مَهِيباً، وَلَمْ تُضْرَبْ عَلَيهِ مَضَارِبُهْ
كَأنَّ السَّرَايَا وَالْفَيَالقَ لَمْ تَسِرْ ... إلَى المُوْتِ تَثْنِي دُونَهُ مَنْ يُحَارِبُهْ
كَأنَّ رُءُوسَ الصِّيدِ لَمْ تَكُ خُشَّعاً ... لَدَى بَابِهِ المَرْجُوِّ بِالأمسِ حَاجِبُهْ
كَأنَّ بُغَاةَ الجُودِ وَالُمجْدِ لَمْ تَفِدْ ... عَلَيْهِ وَلَمْ تَهْطِلْ عَلَيْهِمْ مَوَاهِبُهْ

وفي مناسبة سقوط الخلافة ينظم شاعر الإسلام أحمد محرم قصيدة رائعة وهناك بعض أبيات منها[2] .

أعن خطب الخلافة تسألينا ؟ ... أجيبي يا فروق [3] فتى حزينا

---

(1) ديوان مُحَرَّم «1» ص140 . نقلا عن صوت الإسلام الصارخ أحمد محرم د. محمد رجب البيومي ص59 .
(2) فروق : الأستانه دار الخلافة وعاصمتها .
(3) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر د. محمد حسين الجزء الثاني ص11 .

هوى العرش الذى استعصت منه ... بركن الدهر واستعليت حينا

فأين البأس يقتحم المنايا ؟ ... ويلتهم الكتائب والحصونا ؟

وأين الجاه يغمر كل جاه ... وإن جعل السماك له سفينا

مضى الخلفاء عنك . فأين حلوا ... وكيف بقيت وحدك ؟ خبرينا

لقد فجع المروءة فيك دهر ... أصابك فى ذويك الأولينا

أليس الدهر كان لهم لسانا ... إذا نطقوا ، وكان لهم يمينا

تمرد ينفض التيجان عنهم ... وينتزع العروش وما ولينا

تولوا فى البلاد تضيق عنهم ... جوانبها وكانوا الموسعينا

إذا وردوا الممالك أنكرتهم ... وكانوا للممالك

وبمناسبة انضمام الشريف حسين إلى الجيش الإنجليزى وإعلانه الثورة على الخلافة بعدما خدعهم الإنجليز بتولية الخلافة العربية يقول أحمد محرم[1] .

نبئتُ ما زعم الشريف وقومه ... فسمعت مالم تسمع الأذنان

خدعوه إذ ضاق السبيل بمكرهم ... ورموا بآمال إليه حسان

فأباح ما منعت فوارس هاشم ... وحمت ولاة البيت من عدنان

ياذا الجلالة لا سعدت بتاجه ... ملكاً سواك به السعيد الجانى

أنسيتم الآيات بالغة فما ... بصحائف التاريخ من نسيان

الترك جند الله لولا بأسهم ... لم يبق فى الدنيا مقيم أذان

ويقول عن نصر الأتراك وهزيمة انجليز فى أحد المعارك

(1) الاتجاهات الوطنيه فى الآدب المعاصر د. محمد حسين الجزء الثانى ص 37 .

طرب الحطيم وكبر الحرمان ... واعتز دين الله بعد هوان
قامت سيوف الفاتحين بنصره ... والنصر بين مهند وسنان
.... تعدو الذئاب على ممنع غيله ... والأسد غضبى والسيوف عوان
لا قبة الإسلام قائمة ولا ... ملك الخلائف ثابت الأركان
يمضي تراث المسلمين موزعا ... والمسلمون نواكس الأذقان
ما بين مصر إلى طرابلس إلى ... عدن إلى القوقاز فالبلقان
كر الصليب عليه كرة حانق ... ضرم العداوة ثائر الشنآن
... منع الخلافة أن تضام وحاطها ... حامى الحجيج وناصر القرآن
جيش يسير به النبى وحوله ... جند الملائك بنية العمران
يهتز عمرو فى اللواء وخالد ... ويمور حيدرة بكل عنان

يقول الدكتور محمد رجب البيومى فى كتابه (صوت الإسلام الصارخ) أحمد محرم صفحة73,72 .

ظلت هُمُوم الأتراك شغل مُحرم الشَاغل ، وكانَ ينفسُ عنْ صدْره بَما يُرْسلُ منْ قَصَائد الشِّعر ، ولاَ أدلَّ عَلَى اشتغَاله المرهق بهموم الخلافة الإسلامَية ، أنه فى رثَاء والده وقد لقى ربه فى فترة كانت بعض الصحف المصرية المأجورة أثناءها تُفُيضُ فى حديث الخلاص من الأنتماء إلى الخلافة ، وترى ذلك احتلالا آخر ، ومحرم مع من يفهمون أن المسلمين أمة واحدة فهو يضيق بهذا الاتجاه ، ويلمس أصابع الاستعمار فى إثاره هذا الغبار ، ويعرف تاريخ من يجهرون الأراجيف ومدى ما يحققونه من كسب خاسر عند سادتهم الإنكليز ، لذلك نجده فى رثاء والده لا ينسى خسرته على هؤلاء الخوارج من الأذناب ، وقد بدأ قصيدته بقوله .

بأى منازلِ القومِ الثّواءُ ... وهلْ يُرْجى التَّجاوُرُ وَاللّقاءُ ؟

ثم اتجه من المصاب الخاص إلى المصاب العالم؛ فقال بعد عدة أبيات :

نحب محمدا، ونذب عنه	ونغضب حين يؤذى أو يساء
ونرفع للخلافة جانبيها	وندعمها إذا مال البناء
نصون ذمارها بالبأس إنا	وآل محمد فيها سواء
أبينا أن نخون الله فيها	وإن خان الحماة الأوفياء
حماة، الملك والإسلام فينا	وجند الله منا واللواء
أقمنا ندفع الأعداء عنها	دفاع الأسد هيجها الضِّراء
يرون لهم على الإسلام دينا	ونأبى أن يكون له أداء
ينازعنا حمى عثمان قوم	هم المكروه والداء العياء
ولو ملكوا الخلافة لاستبيحت	محارمها وأعوزها الوفاء
وبيع المسلمون بكل أرض	كما بيع العبيد أو الإماء
إذا حلفاؤنا جاروا علينا	فإن سيوفنا منهم براء

أما فى مجال النثر الأدبى فقد دبَّجَ أدباء الإسلام في ذلك الحين المقالات التى ترثى الخلافة وتشيد بأمجادها وإعزازها للإسلام والمسلمين واستنكارها لما فعله الكماليون(نسبة إلى مصطفى كمال أتاتورك).

كتب الشيخ محمد شاكر مقالا فى المقطم يصور ما يشعر به من خيبة الأمل ، وقد أخذت ضربات الكماليين تتوالى، محاولة قطع كل الصلات التى تربط تركيا بالإسلام والمسلمين. فهو يقول :

(خليفة يخلع. وخلافة تلغى . وأموال تصادر. وأوقاف تضم إلى أملاك الدولة، وتعليم دينى يمحى ، ومحالكم شرعية تغلق . وأسرة عثمانية تطرد من آفاق البلاد، وتحرم حتى من جنسيتها التركية. فما معنى هذه العاصفة الهوجاء، عاصفة

الجنون التى تهب على العالم فى مشارق الأرض ومغاربها من عاصمة الجمهورية التركية بقرارات الجمعية الوطنية فى أنقرة؟

رحم الله زمانا كنا نعطف فيه على هذه الفئة إبان تمردها على السلطنة العثمانية، وهى تجالد مجالدة الأبطال لطرد الأعداء من الأناضول، وزحزحة الحلفاء عن دار الخلافة. والله يشهد أن الذى حدا بنا إلى العطف على هؤلاء المتمردين إنما هو الإشفاق على الخلافة العظمى أن تمتد إليها يد المهانة والاستذلال، وهى البقية الباقية من مجد الإسلام وعهد النبوة الأولى، وهى العزاء الوحيد الذى كنا نتعزى به فى نكبات الأيام وصروف الليالى .... عجيب أمر هؤلاء الذين تسللوا فى جنح الظلام إلى كهوف الأناضول، وظلوا يهتفون باسم الإسلام حتى حازوا فخار النصر، كيف ارتدوا علي أدبارهم يحاربون الإسلام بأسوأ أداة ملكتها أيديهم فى أعز عزيز على العالم الإسلامى، وهو نظام الخلافة... إلخ).

ويقول أمين الرافعى فى مقال له بصحيفة الأخبار، مصوراً فظاظتهم التى تتعارض مع مبادئ الأخلاق والإنسانية:

... (وقد ذهبوا إلى جلالة الخليفة فى ساعة متأخرة من الليل، وأمروه بالجلوس فوق العرش. وبعد أن تلوا عليه قرار العزل أنزلوه وساروا به فى سيارة إلى الحدود، ومنها إلى سويسرا. فعلوا به ذلك فى جنح الظلام، لأنهم يعلمون أنهم يرتكبون جريمة شنيعة، ومن أجل ذلك أيضاً تراهم يعقدون محاكم التفتيش فى أنحاء البلاد، ويخولونها سلطة الحكم بالإعدام، ليملئوا النفوس إرهاباً حتي لا تثور على قرارهم)(1).

وكان من أعنف ما نشرته الصحف فى هذه المناسبة ومن أقواه مقال لكاتب لم يصرح باسمه، نشرته صحيفة الأهرام فى صفحتها الأولى تحت عنوان (يا غربة الإسلام فى موطنه) وفيه يقول:

(ما رمى الإسلام بسهم أوهى لجلده، وأوهن لعضده، وأدمى لكبده، من هذا السهم الذى رماه به الكماليون، أحنى ما كان، وأشد ما كان سكينة واسترسالا إليهم.

---

(1) الاتجاهات الوطنيه فى الأدب المعاصر د. محمد حسين الجزء الثانى ص 37، 38.

ما استطاع أعداء الإسلام، أشد ما كانوا به ائتمارا، وأعدى ما كانوا عليه عدواناً . ، وأصدق ما كانوا رغبة فى الكيد له والنكاية فيه، أن يبلغوا منه ما بلغه هؤلاء الكماليون على مرأى ومسمع من المسلمين جميعاً . . . فإقدام الكماليين على إلغاء الخلافة أكبر جريمة فى عهد هذه الدولة على الدولة، وأشنع جريمة فى تاريخ الإسلام على الإسلام.

فأى شر يحسب هؤلاء الملاحدة أنهم بإلغاء الخلافة يدفعونه، وأى خير يظنون أنهم للدولة بذلك يجلبونه؟

لقد نقضوا موثقاً أخذته عليهم ثمانية قرون وبعض قرن، وأطرحوا أمانة حملوها كل ذلك العهد العهيد ، وخرجوا للمسلمين من تبعة لم يخرجهم منها أحد وحاولوا عبثاً أن يحلوا بيعة بعنق كل مسلم فى الأرض معقودة.

لقد جردوا أمير المؤمنين من القوة التى تقوم بها إمارته بدعوى الفصل بين السلطتين، وما أرادوا إلا الفصل بين عهدين، عهد الدين الذى استدبروه، وعهد الإلحاد الذى استقبلوه. ثم صرح الشر عن محضه، وتكشفت النية عن خبثها، فإذا هم يلغون الخلافة برأيهم، ويخرجون بالخليفة من مقر خلافته فى جنح الليل، كأنهم استحيوا أن يواجهوا بجريمتهم وضح النار، وودوا لو استطاعوا أن يخفوا جريمتهم عن مسلمى الأمصار . . .[1].

ومن أحسن ما كتب من النثر في هذا الأمر الأمر ما سطرته يراع الأديب الإسلامى الكبير مصطفى صادق الرافعى فى سفره الشهير(وحى القلم) إذ يقول : أظهر الطاغية أن الله يؤيد به الإسلام ليتألف الجند والشعب ويستميلهم إليه.

وكان فى ذلك لئيم الكيد، دنئ الحيلة، يهودى المكر، فأمر بعمارة المدارس للفقه والتفسير والحديث والفتيا، وبذل فيها الأموال ، وجعل فيها الفقهاء (والمشايخ)، وبالغ فى إكرامهم والتوسعة عليهم والتخضع لهم، ودخل فى ظلال العمائم. . وأحضر لنفسه فقيهين مالكيين(اثنين لا واحداً) يعلمانه ويفقهانه. وكان أشبه بمريد مع شيخ الطريقة يسعد به ويتيمن، أشرف ألقابه أنه خادم العمامة

---

(1) المرجع السابق ص 39.

الخضراء، وأسعد أوقاته اليوم الذى يقوم له فيه الشيخ: رأيتك فى الرؤيا ورأيت لك .

وكانت هذه المعاملة الإسلامية الكريمة من هذا الطاغية، هى بعينها ربا اللفاقة اليهودية فى مخه[1]، تصلح بإقراض مائة وفيها نية الخراب بستين فى المائة! فإنه ما كاد يتمكن من الناس ويعرف إقبالهم عليه وثقتهم به، حتى طلبت اللفافة اليهودية رأس المال والربا، فأمرهم بهدم تلك المدارس وإخراجها، وأبطل العيدين وصلاة الجمعة، وقتل الفقهاء وقتل معهم فقيهية وأستاذية، وعاد كالمريد المنافق مع شيخ الطريقة، يقول فى نفسه: إن هناك ثلاثة تعمل عملاً واحداً فى الصيد: الفخ، والعمامة، واللحية. . . !.

إن هذا الطاغية ملك حاكم، يستطيع أن يجعل حماقته شيئاً واقعاً، فيقتل علماء الدين بإهلاكهم، ويقتل مدارس الدين بإخراجها ، ولو شاء لا ستطاع أن يشنق من المسلمين كل ذى عمامة فى عمامته. ويبلغ من كفره أن يتبجح ويرى هذا قوة، ولا يعلم أنه لهوانه على الله قد جعله الله الذبابة التى تصيب الناس بالمرض، والبعوضة التى تقتل بالحمى ، والقملة التى تضرب بالطاعون. فلو فخرت ذبابة، أو تبجحت قملة أو استطالت بعوضة، لجاز أن يطن طنينه فى العالم! وهل فعل أكثر مما تفعله؟

لقد أودى بأناس يقوم إيمانهم على أن الموت فى سبيل الحق هو الذى يخلدهم فى الحق، وأن انتزاعهم بالسيف من الحياة هو الذى يضعهم فى حقيقتها ، وأن هذه الروح الإسلامية لا يطمسها الطغيان إلا ليجلوها .

(إنه والله ما قتل ولا شنق ولا عذب ، ولكن الإسلام احتاج فى عصره هذا إلى قوم يموتون فى سبيله ، وأعوزه ذلك النوع السامى من الموت الأول الذي كان حياة الفكر ومادة التاريخ فجاءت القملة تحمل طاعونها . . . . !

(لقد أحياهم فى التاريخ ، أما هم فقتلوه فى التاريخ . . . وجاءهم بالرحمة من جميع المسلمين . . أما هم فجاءوه باللعنة من المسلمين جميعًا) .

ويقول فى المجلد الثالث من وحى القلم مصوراً عصبيته التركية التى ذهبت به مذهب الجنون فى لعن كل ما يمت للعرب بصلة :

---

(1) يشير إلى أنه أشيع فى وقته أن فى مصطفى كمال عرقا يهوديا .

(يرى هذا الطاغية أن الدين الإسلامى خرافة وشعوذة على النفس ، وأن محو الأخلاق الإسلامية العظيمة هو نفسه إيجاد أخلاق ، وأن الإسلام كان جريئًا حين جاء فاحتل هذه الدنيا ، فلا يطرد من الدنيا إلا جراءة شيطان كالذى توقح على الله حين قال : « فبعزتك لأغويتهم أجمعين » ولهذا أمر الناس بسب الصحابة ، وأن يكتب ذلك على حيطان المساجد والمقابر والشوارع !

(أخزاه الله !أهى رواية تمثيلية يلصق الإعلان عنها فى كل مكان ؟ لو سمع ، لسمع المساجد والمقابر والشوارع تقول : أخزاه الله !) .

ثم يقول مصوراً تطرفه فى هدم كل ما ورث الناس عن أسلافهم من دين ومن عرف ومن تقاليد ، وفى إقحام كل بدع عجيب غريب على حياتهم وإلصاقه بها إلصاقًا :

(يزعم الطاغية أنه يعز قومه . وما أراه يعزهم . . ولكنه يمتحن ذلهم وضعفهم وهوانهم على الأمم فهو يتجرأ شيئا فشيئًا ، منتظراً ما يتسهل ، مترقبًا ما يمكن وهو يرى أن أخلاقنا الإسلامية هى أمواتنا دفنوا أنفسهم فينا ، فمن ذلك يهدم الأخلاق ويظن عند نفسه أنه يهدم قبوراً لا أخلاقا .

(يزعم الطاغية أنه سيهدم كل قديم وإنى لأخشى والله أن يأمر الناس فى بعض سطوات جنونه : أن كل من كان له أم أو أب بلغ الستين فليقتله ، لتخلص الأمة من قديمها الإنسانى . . . . !

كأنه لا يعرف أنه إنما يتسلط على أيام معاصريه لا على التاريخ ، ويحكم على طاعة قومه وعصيانهم لا على قلوبهم وطباعهم وميراثهم من الإسلام . فما هو إلا أن يهلك حتى ينبعث في الدنيا شيئان . . نتن رمته فى باطن الأرض ، ونتن أعماله على ظهر الأرض . إن هذا الرجل المسلط كالغبار المستطار ، لا يكنس إلا بعد أن يقع)[1] .

---

(1) المرجع السابق صـ 40 و41و، 14 .



موقف الأزهر من إلغاء الخلافة

أصاب المسلمون الحيرة والاضطراب فلأول مرة منذ عهد النبى ﷺ وآله وسلم يجدون أنفسهم بلا خليفة يدعون له كل ظهر جمعة فولوا وجوههم شطر الأزهر الشريف وعلمائه عسى أن يجدوا عندهم المخرج والفرج من هذا الضيق .

فاجتمع ستة عشر عالماً من علماء الأزهر وأصدروابياناً مزيلاً بتوقيعاتهم أذاعوه بعد إلغاء الخلافة بأربعة أيام يقررون فيه بطلان ما تجرأ عليه الكماليون من عزل الخليفة عبد المجيد الذى انعقدت له البيعة من المسلمين جميعاً لأنه صادر من فئة قليلة لا يعتد بهم « فبيعته صحيحة شرعاً فى عنق كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر وينبه البيان المسلمين إلى حاجاتهم إلى خليفة ثم يدعوهم إلى الإسراع فى عقد مؤتمر « يقرر ما يراه فى أمر الخلافة من الطريق الشرعى ويحذرهم من (تسرب الخلافة) الذى يؤخر الإسلام ويضعفهم»(1) .

وفى اليوم التالى نشر الشيخ محمد حسنين محمد مخلوف مقالاً بين فيه خطأ الكماليين فيما ذهبوا من أن الخلافة عقبة فى طريق التقدم وختمه بدعوة المسلمين للنظر فى أمر الخلافة قائلاً :

«فإذا لم يكن الخليفة قد تنحى عن الخلافة بل لا يزال متمسكا به فإن بيعته لا تزال فى الأعناق إلا أن يكون قد اعتزل بنفسه الخلافة ورأى عدم كفايته لها فتبرأ ذمة المسلمين من عهدته وتنحل بيعته من أعناقهم ويجب النظر فى إسناد الخلافة لمن هو أهلها وأحق بها فإن الإجماع منعقد على وجوب نصب الخليفة للمسلمين وقد ورد فى صحيح مسلم « من مات وليس فى عنقه بيعه مات ميته جاهلية» .

فيجب على أهل الحل والعقد والعلماء أن يبادروا إلى النظر فى بيعة خليفة المسلمين حتى يخرجوا من عهدة هذا المنصب الخطير) ونشطت الدعوة إلى (المؤتمر الإسلامى ، فاجتمع العلماء برياسة شيخ الجامع الأزهر وأصدروا بياناً بتاريخ 19شعبان1942 هـ الموافق 25 مارس سنة 1924م) .

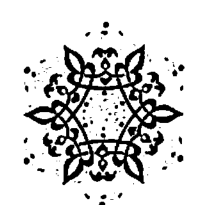
(1) الأهرام - 6 مارس 1924م - 30 رجب 1342 هـ- بعنوان (خلع الخليفة غير شرعى) وكان قرار إلغاء الخلافة فى 2 مارس 1924نقلا عن الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ص 43 . د. محمد محمد حسين الجزء الثانى .

أفتوا فيه ببطلان بيعة السلطان عبد المجيد الذى كان الكماليون قد أقاموه قبل أن يلغوا الخلافة لأن الإسلام لا يعرف الخلافة بالمعنى الذى تولاه به منفصله عن السلطة لأن السلطة كانت بيد مصطفى كمال أتاتورك أما الخليفة والخلافة كانت إسماً فقط .

وقرروا دعوة ممثلى جميع الأمم الإسلامية إلى مؤتمر يعقد فى القاهرة برياسة شيخ الإسلام للبت فيمن يجب أن تسند إليه الخلافة وحددوا شهر شعبان من العام التالى موعداً لانعقاده .

وقد أخذت لجنة المؤتمر الإسلامى شكلاً رسمياً وأصدرت مجلة باسم المؤتمر الإسلامى ظهر العدد الأول منها فى شهر ربيع الأول سنة 1343هـ- أكتوبر 1924م ونشر فى صدره مقال للسيد رشيد رضا أبرز فيه أهمية هذا المؤتمر لأنه أول مؤتمر إسلامى عام يشترك فيه علماء الدين والدنيا من كل الأمم الإسلامية وبين أن المطلوب فى هذا المؤتمر هو وضع قواعد للحكومة الإسلامية المدنية التى يظهر فيها علو التشريع ووضع قواعد للتربية والتعليم تجمع بين هداية الدين ومصالح الدنيا واختيار خليفة وإمام للمسلمين (1) .

ولكن هذا المؤتمر الذى حدد لانعقاد شهر شعبان 1343هـ- مارس 1925م أجل مرة بعد مرة ولم يجتمع إلا فى أول ذى القعدة 1344 هـ - 13 مايو 1926 م ولم يسفر اجتماعه عن أى شيء بسبب تنازع الملوك والرؤساء على منصب الخلافة وقد سعت الصليبية الحديثة بوسائلها الخبيثة بإفشال هذا المؤتمر ولكن الأمل معقود على الصحوة الإسلامية الراشدة فى أرجاء العالم الإسلامى أن تبعث الأمل فى نفوس المسلمين الحيارى التائهين فى أرجاء البسيطة وتقودهم نحو مستقبل أفضل للإسلام والمسلمين تتجدد فيه الدعوة إلى الخلافة الإسلامية اسماً ورسماً مبنى ومعنى .



(1) الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر د. محمد محمد حسن ص 46 وما بعدها الجزء الثانى .

ماذا خسر المسلمون بالقضاء على الخلافة؟

بشائر عودة الخلافة

مشروع السنهودى لإحياء الخلافة

مشروع الإمام محمد أبى زهرة للوحدة الإسلامية .

الخلافة الإسلامية

كلمة أخيرة .

ماذا خسر المسلمون بالقضاء على الخلافة..؟

لم يكن القضاء على الخلافة الإسلامية حدثًا عاديًا فى تاريخ المسلمين ولا هزيمة عسكرية لأعظم وأكبر دولة فى العالم فقديمًا تعرضت دولة الإسلام لهزائم عسكرية سقطت فيها بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية أمام جحافل التتار وتحول نهر دجلة إلى بركة من الدماء ودخلت الجيوش الصليبية بلاد الشام وأسسوا إمارات صليبية فى قلب العالم الإسلامى وأصبحت القدس إمارة صليبية لمدة مائة عام.

ولكن الخلافة لم تسقط ولم تزول فسرعان مايهب الله الأمة الإسلامية القوة والعافية فتطرد جيوشها الأعداء تحت لواء الخلافة الإسلامية لأن المسلمين عبر تاريخهم الطويل لم يفرطوا فى الخلافة كنظام يحكمهم ويتولى أمورهم فى سائر شئون الحياة فكان الخليفة يبنى القناطر والجسور ويقود الجيوش كما يقيم شعائر الإسلام وشرائعه فمن للمسلمين إذا تهاونوا فى شأن الخلافة.

وهى الرابطة الجامعة للمسلمين التى أمر بها رب العالمين لذا فإن أعداء الإسلام عكفوا على دراسة تاريخ الأمة الإسلامية وأنعموا النظر فيه وخلصوا فى نتائج أبحاثهم ودراساتهم إلى أن هذه الأمة تتعرض للأنتصار والإنكسار والمد والجزر ومادام الشريان الذى يمدها بالقوة ويبعث فيها العافية موجودًا فإنها تستطيع أن تحول الهزيمة نصرًا والمرض عافية.

عرف أعداؤها السر فى قوة هذه الأمة ووضعوا أيديهم على مكامنه.

فأدركوا أن المسلمين لن يضعفوا ولن يتفرقوا مادام لهم خليفة وإمام يرفع رايتهم ويسوس أمورهم.

علم الأعداء ذلك فصوبوا سهامهم نحو الخلافة الإسلامية وضربوها فى مقتل وأجهزوا عليها لم يتركوها جريحة خشية أن تضمد جراحها وتجمع أسباب القوى.

كان (شكيب ارسلان) يقول للذين تكالبوا على الخلافة والتى كان يطلق عليها (الرجل المريض).

دعوا الرجل المريض علَّهُ يشفى يومًا ما.

وكان الشيخ محمد الغزالى رحمه الله يشبه دولة الخلافة إبان ضعفها بالهيكل الذى يصنعه الفلاح ليحمى زراعته من العصافير والطيور فتخافه الطيور وتخشاه رغم أنه هيكل

خشبى فى يده عصا هكذا كانت دولة الخلافة تخيف الأعداء رغم هشاشتها فسقطت بقاياها فأضحى المسلمون مشتتين فى كل مكان فانحلت الرابطة وتفككت الدولة العظمى إلى كيانات ضعيفة لا تقوى أن تَذُبَّ عنها الذباب الذى يَطن على وجهها ولا تدفع الطيور التى تنقر جسدها هذا هو حال المسلمين الآن بعد سقوط دَولة الخلافة .

يقول الدكتور محمد حسين فى كتابه الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر الجزء الثانى صفحة (5) «تمخضت الحرب العالمية الأولى وما ترتب عليها وتلاها من تقلبات عن أخطر ظاهرة فى حياة الإسلام والمسلمين فللمرة الأولى فى حياتهم سقطت الخلافة بعد أن اتصلت حلقاتها خلال ثلاثة عشر قرنًا ونصف قرن تنقل مركز الخلافة فيها بين عواصم البلاد الإسلامية المختلفة ولكنه ظل فى كل الأحوال رمزاً للرابطة التى تجمع بين المسلمين فى شتى بقاع الأرض ، وظلت الدولة القائمة بأمر الخلافة مكلفة فى نظر المسلمين برعاية شئونهم وإسعاف منكوبيهم والأخذ بيد ضعيفهم وإقامة شريعة دينهم وشعائره وكانت دولة الخلافة تقوم بواجبها كاملاً أو تفرط فيه وتتساهل حسب الأحوال» .

ويمكننا أن نلخص الآثار التى ترتبت على القضاء على الخلافة :

1- توهين الرابطة الإسلامية بين البلاد الإسلامية وقيام العلاقات بين دول العالم الإسلامى على أساس الروابط القومية والعصبيات الجنسية والعرقية الأمر الذى ترتب عليه صعوبة تجمع المسلمين على رأى واحد فى المنظمات الدولية فى شأن قضايا العالم الإسلامى الكثيرة .

2- عدم الاستفادة بالثروات الموجودة فى العالم الإسلامى لأنها موزعه على العديد من الدول الإسلامية التى قامت على أساس عرقى وقومى فقامت كل دولة من هذه الدول بالاستقلال بثرواتها ولم تحسن استغلالها والاستفادة منها الأمر الذى ترتب عليه صعوبة قيام تكامل اقتصادى بين هذه الدول .

3- تقسيم العالم الإسلامى إلى دويلات تتنازعها قوميات وعصبيات شتى الأمر الذى ترتب عليه العديد من المشاكل بين تلك الدول مثل مشكلة الأكراد فى العراق وتركيا ومشكلة جنوب السودان ومشكلة كشمير ومشكلة الفلبين ومشكلة الأقليات .

بشائر عودة الخلافة

لم تمض سنوات قلائل على القضاء على الخلافة الإسلامية حتى قيض الله للأمة الإسلامية دعاة فقهيين مخلصين مجددين جاهدوا بالكلمة الطيبة لوصل ما انقطع وتجديد ما بلى وعملوا على إحياء الخلافة الإسلامية وربوا أجيالاً آمنوا بتلك الحقيقة وحملوا رايتها وعلى رأس هؤلاء الدعاة الإمام الشهيد حسن البنا فانطلقت شرارة الصحوة الإسلامية من مصر وظهرت بشائرها فى العالم الإسلامى كله فظهر أبو الأعلى المودودى مجدد الإسلام فى القارة الهندية داعيًا إلى عودة الخلافة الإسلامية وأصدر العديد من الكتب فى قضية الخلافة وما يتعلق بها وطافت أبحاثه العالم الإسلامى كله وكذلك أبو الحسن الندوى فى الهند.

وفى تركيا الإسلامية التى آلت مقاليد الحكم فيها إلى العلمانيين فعملوا على طمس معالم لإسلام فيها، ظهرت العديد من الأحزاب الإسلامية ومن أشهر هذه الأحزاب حزب (العدالة) الإسلامى بقيادة المهندس أربكان والتيارات الإسلامية فى تركيا الإسلامية الذى قام بعلمنتها (مصطفى كمال) تعتبر امتدادًا لفكر العالم الصالح المجاهد «سعيد النورسى» قائد جماعة النور الذى كتب عنه تلامذته (رسائل النور) التى بنيت عليها التيارات الإسلامية فى تركيا.

ويؤكد الكاتب البريطانى والصحافى المعروف «إدوارد موريتمر» أن مصطفى كمال بالرغم من كل الإجراءات التى اتخذها لتحديث وعلمنة تركيا: إلا أنه لم يستطع قتل الشعور الإسلامى الجارف داخل قلوب ومشاعر غالبية الشعب التركى رغم الحظر الذى مارسه «الكماليون» فى تركيا طيلة السنوات الماضية ويقول: «إن شعورًا جارفًا وقويًا للعودة إلى التقاليد والنظم الإسلامية قد نما بين مختلف طبقات الشعب التركى».

ذلك أن الشعب التركى معروف بتاريخه العسكرى المجيد وحينما وضع قدراته فى خدمة الإسلام ورسالته نجح فى فتح القسطنطينية وحولها إلى (إسلامبول) بعد أن عجز الكثيرون عن فتحها وحين تمتزج الطاقة العربية بالطاقة التركية وبغيرها من طاقات الشعوب الإسلامية فى بوتقة «الدولة الإسلامية» فإنها تفعل المعجزات، فهل يعيد التاريخ الإسلامى نفسه؟!

كتبت صحيفة «بارى ماتش» الفرنسية حول مظاهر الصحوة الإسلامية وتحذير الغرب منها فقال :

«ومن المحيط الأطلسى إلى المحيط الهادى ومن أفريقيا السوداء إلى حدود سيبيريا بدأ صوت الإسلام يرتفع فى كل مكان ، وراية الإسلام بدأت تخفق من جديد بعد طول غياب فى بعض الأماكن بينما هى تستعد للارتفاع فى مناطق أخرى فما هى الاحتياطات التى ينبغى على الدول الغربية أن تتخذها فى مواجهة ذلك وكيف تستطيع أن تدرك حقيقة ما يجرى لكى لا نفاجأ بالأحداث»[1] .

يقول الأستاذ موفق بنى المرحة فى كتابه (صحوة الرجل المريض) . «باتت حركة انبعاث الإسلام تبدو واضحة جلية فى العقد الأخير من القرن العشرين الميلادى ومع مطلع القرن الخامس الهجرى ، من جبال الفلبين على شواطىء المحيط الهادى فى جنوبى آسيا مرورًا بالألف جزيرة فى أندونيسيا وانتهاء بكابول وأنقرة فى غربى القارة نفسها . وعودة الإسلام كنظام حكم وطريقه لمعالجة مشاكل الحياة اليومية» .

وقد آن الأوان لهذه الأمة أن تدرك أهمية الإفادة من ثرواتها النفطية التى يعتبرها الكثيرون آخر فرصة من فرص التحرر والسيادة وإذا ضاعت هذه الفرصة فقد يضيع كل أمل معها .

إن الأجواء مهيأة لحدوث الصحوة الحقيقية التى تتوج باستئناف الحياة الإسلامية من خلال صياغة نظام إسلامى بديل للنظم الوضعية المعاصرة ، بحيث يستوعب ضرورات الحياة الحديثة ومستجداتها ويتلمس الحلول الشرعية عن طريق فتح باب الاجتهاد سواء من قبل الفقهاء كأفراد أو من قبل المجامع الفقهية فى العواصم الإسلامية[2] .

وقد قيض الله للإسلام وللأمة الإسلامية فقيهين من أجل الفقهاء فى هذا العصر هما الفقيه الكبير الدكتور عبد الرزاق السنهورى والعالم الفقيه الإمام الدكتور محمد أبو زهرة فقام الأول بوضع مشروع لإحياء الخلافة الإسلامية عقب القضاء على

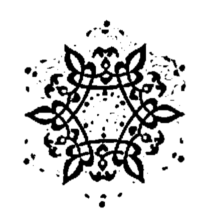
---

(1) صحوة الرجل المريض – موفق بنى المرحة ص 389وما بعدها .
(2) المرجع السابق .

الخلافة العثمانية بعامين حصل به على درجة الدكتوراة من جامعة ليون بفرنسا تحت عنوان «الخلافة وتطورها لتكون عصبة أمم إسلامية».

أما الدكتور الفقيه الشيخ محمد أبو زهرة قام بوضع مشروع للوحدة الإسلامية قامت بنشره مجلة المسلمون التى كان يصدرها سعيد رمضان بالقاهرة فى العدد الثانى السنة الثالثة الصادر فى 1373 هـ ربيع الثانى ديسمبر 1953 م ص 15.

ونتناول بالإيجاز عرض هذين المشروعين.



مشروع السنهورى لإحياء الخلافة

وقد واجه السنهورى فى هذا المشروع الكبير مشكلة انهيار دولة الخلافة العثمانية وتعذر قيام دولة إسلامية موحدة فى العصر الحاضر ـ فتصدى للبحث عن بديل عصرى لها ـ واقترح كذلك إنشاء منظمة إسلامية دولية ونجح فى إثبات ثلاثة مقدمات لوجوب إقامة «الخلافة» بالصورة العصرية التى اقترحها.

المقدمة الأولى:

إن القواعد والأصول التى بنى عليها فقه الخلافة فى الفقه الإسلامى لا تختلف مع أحدث النظم العصرية ومبادئها مثل مبدأ السيادة الشعبية والفصل بين السلطات وأسس الحكم الذى يضمن حريات الشعوب والأفراد وتتميز هذه القواعد فى الفقه الإسلامى عنها فى النظم الغربية بأنها فى التطبيق مرتبطة بعقيدة دينية وشريعة سماوية تجعل الناس يذعنون لها عن طواعية واختيار لا عن قسر وإرغام.

ولقد نجحت الشريعة الإسلامية فى صياغة الضمير البشرى وتهذيبه على نحو نادر وفريد ذلك أن المسلم كان يأتى طواعية واختياراً تسوقه قدماه إلى حيث يقام عليه الحد الذى فيه إزهاق روحه فعن بريدة قال: «جاء ماعز بن مالك إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله طهرنى فقال: **«ويحك أرجع فاستغفر الله وتب إليه»** قال فرجع غير بعيد ثم جاء فقال: طهرنى. فقال النبى ﷺ مثل ذلك حتى إذا كانت الرابعة قال رسول الله ﷺ **مم أطهرك؟** قال: من الزنا فسأل رسول الله ﷺ **أبه جنون؟** فأخبر أنه ليس به جنون فقال: **أشرب خمرا؟** فقام رجل فاستنكهه فلم يجد منه ريح فقال: زنيت؟ قال: نعم. فأمر به فرجم فلبثوا يومين أو ثلاثة ثم جاء رسول الله ﷺ فقال: **«استغفروا لماعز بن مالك لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم»** ثم جاءته امرأة من غامد من الأزد فقالت: يا رسول الله طهرنى. فقال: **«ويحك أرجعى فاستغفرى وتوبى إليه»** فقالت: أتريد أن تردنى كما رددت ماعز بن مالك إنى حبلى من الزنا. فقال: **«أنت»** قالت: نعم. قال لها: **«حتى تضعى ما فى بطنك»** قال: فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت فأتى النبى ﷺ فقال: قد وضعت فقال: **«إذاً لا نرجمها وندع ولدها صغيرا ليس له من ترضعه»** فقام رجل من الأنصار فقال: إلى رضاعه يا نبى الله

فرجمها ويروى أنه قال لها: **«أذهبى حتى تلدى»** فلما ولدت قال: **«أذهبى فأرضعيه حتى تفطميه»** فلما فطمته أتته بالصبى فى يده كسرة خبز فقالت: هذا يا نبى الله قد فطمته وقد أكل الطعام فدفع الصبى إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها فيقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى بها رأسها فتنضخ الدم على وجه خالد فسبها فقال رسول الله ﷺ: **«مهلا يا خالد فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له»** ثم أمر فصلى عليها ودفنت»[1].

وبهذا الضمير الحى الذى رباه الإسلام اكتسب التشريع الإسلامى قوة جعلت ذلك المسلم الذى استحوذ على تاج كسرى يخفيه لا طمعًا فيه ولكن إخلاصًا منه حتى يكون له شرف تقديمه إلى خليفة رسول الله ﷺ[2].

المقدمة الثانية:

هى عرض تاريخى للخلافة منذ فجر الإسلام حتى يوم إعداد مشروعه بصورة وافية توضح أن الخلافة أنشأتَ فى منطقتنا أعظم أمة وأكبر دولة شهدها تاريخ الشرق وأقامت أعظم حضارة شهدها العالم كله عندما كان الأوربيون فى العصور الوسطى مغمورين فى ظلام التخلف والجهل والحروب الدينية والنظم الإقطاعية والاستبدادية.

المقدمة الثالثة:

هى الإضافة الجديدة فى فقه الخلافة التى قدمها لجيله والأجيال التالية وهى أن وحدة الأمة الإسلامية يجب التمسك بها وتدعيمها دون انتظار وجود الدولة العظمى التى لا يريدها الأوربيون ولا يستطيع أن تحققها العرب والمسلمون الآن وأنه يجب لذلك إنشاء «عصبة أمم إسلامية» تتمشى مع الاتجاه العالمى نحو التكتل والتجمع الذى نتج عنه العديد من الاتحادات مثل الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبى وغير ذلك من المنظمات والتكتلات.

---

(1) رواه مسلم.
(2) فى وجه المؤامرة على تطبيق الشريعة الإسلامية للمؤلف ص 68 طبعة دار الوفاء.

وقد وضع السنهوري هذا المشروع في وقت كانت معظم أقطار العالم الاسلامي خاضعة للاحتلال الأجنبي أو لحكومات فرضتها الدول الأوروبية الاستعمارية أما الدول التي استقلت فقد رسم الاستعمار حدودها وفرض عليها التزامات أهمها معاهدة لوزان التي فرضت على تركيا قطع الصلة بالواقع التاريخي الذي كانت تمثله دولة الخلافة التي كانت تمثل وحدة العالم الإسلامي وقوته ومجده وقد رأى السنهوري أن فكرة إقامة دولة إسلامية موحدة لا يمكن أن تتم إلا بعد تحرير الأقطار الإسلامية من الحكم الأجنبي وهو ما قد يستغرق فترة طويلة لذلك اقترح تكوين منظمة دولية تكون أداة للتعاون بين الدول الإسلامية المستقلة تعمل لتنمية الروابط بين شعوبها وتتولى تقديم المساعدة للشعوب التي تطالب باستقلالها واقترح أن تسمى هذه المنظمة «عصبة الأمم الإسلامية» وأن يكون بجانبها منظمة «دينية» أول أهدافها تشجيع الحركة العلمية للنهضة بالشريعة الإسلامية باعتبارها وحدة الأمة والتقارب بين شعوبها.

ويرى السنهوري أنه يجب تطوير فقه الخلافة حتى يمكن أن تأخذ في كل عصر من العصور شكلاً يتناسب مع الظروف الداخلية والعالمية وتنفيذًا لهذه الفكرة فإنه يرى أن ظروف العالم الإسلامي والأوضاع الدولية المعاصرة تستلزم إقامة منظمة دولية تضم دولاً متعددة طالما أنه من المتعذر قيام دولة موحدة تمثل جميع المسلمين وبجانبها منظمة دينية تدعم الوحدة الثقافية للعالم الإسلامي ويلخص الدكتور توفيق الشاوي مشروع السنهوري فيما يلي:

1- إن الخلافة معناها إقامةنظام يحقق وحدة الأمة الإسلامية في تنظيم سياسي يضمن لها المكانة الدولية التي تتناسب مع رسالتها السامية وتاريخها المجيد ويضمن سيادة الشريعة والعقيدة الإسلامية ولذلك فهي ضرورة لابد منها.

2- إنه في الظروف الحاضرة التي يتعذر فيها إقامة الخلافة الكاملة الصحيحة فلابد من إقامة خلافة ناقصة[1] على خطة تمكنها من أن تستكمل تدريجيًا شروط «الخلافة» الراشدة الكاملة.

(1) الخلافة الناقصة: هي جميع أنظمة الحكومة غير الصحيحة.

3- إذا كان تعطيل الشورى وتوقف الاجتهاد نتج عن سيطرة حكام مستبدين وتخلف علمى وجمود اجتماعى فلابد من علاجه ـ حتى يصبح شرعيًا شوريًا كاملاً راشدًا ـ لكن علاج المشاكل الدستورية لا يستلزم أن تتخلى شعوبنا عن مبدأ الوحدة الإسلامية لأنه يحمى استقلالها ويقوى شوكتها وهو اتجاه حتمى يفرضه الإسلام ويفرضه التطور العالمى نحو التكتلات الإقليمية الكبرى فهو فى صالح تقدم الإنسانية ومستقبل حضارتها وسعادتها.

4- يجب فى الوقت نفسه بدء حركة علمية لتجديد الفقه الإسلامى وتدوينه وتقنينه فى صور عصرية وتطبيقه تدريجيا بصفة عملية فى جميع الدول الإسلامية وتنظيم الأجماع ليكون إلى جانب الاجتهاد مصدراً حيًا دائمًا للفقه وليكون تجمع المسلمين مبنيًا على وحدة العقيدة والشريعة والثقافة والتكامل الاقتصادى والتكافل الاجتماعى.

5- يجب الدعوة إلى إقامة منظمة دولية إسلامية أو جامعة للدول الإسلامية.

6- عندما تنجح الحركة العلمية فى تطبيق الفقه الإسلامى وتنجح الحركات السياسية فى إنشاء منظمة دولية للدول الإسلامية يمكن أن يختار المسلمون رئيسًا للجامعة الإسلامية على أساس وحدة الأمة والشورى الحرة وتطبيق الشريعة والتكامل بين المبادىء الدينية والنظم المدنية[1].

« إن الحالة التى واجهها العالم الإسلامى وقت قيامه بوضع مشروعه الكبير فى كتابه السالف الذكر مازالت قائمة حتى اليوم وهى عجز الأمة عن إقامة دولة موحدة تمثلها ـ ووجود عدة دول إسلامية فرضت نفسها أو فرضتها الظروف على أقطارنا وشعوبنا فى مختلف أقاليمها ـ وكان هدف كتابه أن يقدم للأمة الإسلامية نظرية جديدة للخلافة تمكنها من الالتزام بأصول الشريعة ومبادئها التى تفرض عليها الوحدة دون أن يتوقف ذلك على بناء دولة «الخلافة» طالما أن الظروف العالمية لا تمكنها من ذلك.

(1) المرجع السابق ص13,12.

بذلك فرق السنهورى بين وحدة الأمة ووحدة الدولة وبهذه التفرقة استطاع أن يعد خطة عملية لتطوير النظام السياسى الإسلامى على أساس تعدد الدول مع المحافظة على وحدة الأمة التى تمثلها منظمة دولية تضم دولاً إسلامية مستقلة بدلاً من الصورة التقليدية التى كانت فيه «الخلافة» تأخذ صورة دولة كبرى موحدة فى عهد العثمانيين ومن قبلهم من العباسيين والأمويين والخلفاء الراشدين.

إن السنهورى كان مقتنعًا بأن الخلافة تعنى وحدة الأمة التى تفرضها العقيدة والشريعة ـ لذلك دافع بحماسه وجرأة عن مبدأ وجوب إقامتها حتى فى حالة عدم وجود دولة موحدة لأن «الخلافة» واجبة بحكم المبدأ الذى يفرض على الأمة الإسلامية الوحدة والتضامن وليس من الضرورى أن تكون فى صورة إمبراطورية موحدة وبنى فكرته على أساس أن مبدأ الضرورة وهو من المبادىء التى أجمع عليها الفقه الإسلامى ـ يكفل مرونة مبدأ الوحدة»[1].

لقد قدم «السنهورى للفقه والقانون فكرة جديدة تمكن العالم الإسلامى من المحافظة على وحدة الأمة رغم التجزئة الاستعمارية التى فرضت على شعوبها أن تأخذ دولها الناشئة طابع الحكم الوطنى أو القومى الذى يتجاهل الوحدة الإسلامية التى سادت فى عهود الخلافة التاريخية»[2].

«إننا نرجو أن يذكر القراء أن جيلنا قد تعرض لعمليات من الغزو الثقافى والتضليل الإعلامي ساهمت فيها القوى الكبرى المعادية للإسلام والأجهزة التابعة له فى الداخل والخارج والتى كانت تهدف دائمًا إلى تشويه تاريخنا وتزييف أحكام شريعتنا والتشهير بها».

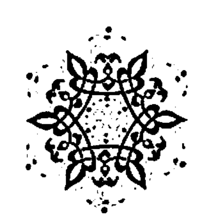
وأن هذه الحملات المعادية للشريعة والخلافة والإسلام ذاته مازالت مستمرة ومازال عدد كبير من كتابنا ومؤلفينا متأثرين بها بقصد أو بغير قصد حتى أن كثيرًا من هؤلاء الكتاب لم يعرفوا عن الخلافة إلا ما روجه أعداؤها من اتهامات تفديهاأحقاد تاريخية عنصرية موروثة.

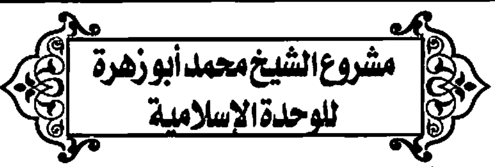
---

(1) فقه الخلافة للدكتور السنهورى تقديم توفيق الشاوى ص 22,11,10.
(2) المرجع السابق ص10.

إن الخلافة عند السنهوري وأمثاله ليست دولة بعينها ولا نظام حكم معين بل إنها تعنى مبدأ وحدة الأمة واستغلالها وتحررها من السيطرة الأجنبية التى فرضت التجزئة على أقطارنا وشعوبنا لكى تمزق وحدتنا وتفرض عليها الشقاق والخصام والفرقة التى نرى آثارها فيما يسود منطقتنا من نزاعات حدودية أو قومية أو إقليمية أيديولوجية أقحمها الاستعمار ويغذيها أذنابه الذين مكنهم من السلطة أو النفوذ فى ميدان العلم والفن والفكر والأدب والتوجيه الثقافى والإعلامى والسياسى ومازال كثير منهم يتمتع بسيطرة لا يستحقها ومازالت القوى الأجنبيه تمهد لهم فرص الشهرة والكسب المادى والاجتماعى التى لا ينالها غيرهم.

تلك ملامح المشروع الإسلامى الكبير التى وضعه الفقيه العظيم الدكتور عبد الرزاق السنهورى والذى كتبه باللغة الفرنسية سنة 1926 عقب القضاء على الخلافة العثمانية وقد ترجمته كريمته الدكتورة نادية عبد الرزاق السنهورى وقام بعرض هذا المشروع بخلاصة وافية الدكتور توفيق الشاوى.





دعا الإمام محمد أبو زهرة إلى مشروع للوحدة الإسلامية وقد أسس هذا المشروع على «أن الوحدة التى نبتغيها لا تمس سلطان ذى سلطان يقوم بالحق والعدل فى المسلمين ولا شكل الحكم فى الأقاليم الإسلامية فلكل إقليم أسلوب حكمه مادام يؤدى إقامة الحق والعدل فيه ويحقق المعانى الإسلامية السامية وإنما معنى الجامعة الإسلامية أن نعتبر أنفسنا مهما تناءت الديار مرتبطين بروابط وثيقة تمتد جذورها فى أعماق أنفسنا وهى أحكام الإسلام وشعائره وعبادته وعقائده إذ هو دين الوحدة الجامعة الشاملة كما هو دين التوحيد الخالصَ من كل شرك أيّاكان نوعه وأيّا كان مظهره»[1].

ويرى الشيخ محمد أبو زهرة أن الطريق إلى الوحدة يبدأ بأمور ثلاثة:

أولها: إتحاد المشاعر فى الأحساس بأننا أخوة ﴿إنما المؤمنون أخوة﴾.

ثانيها: العمل على إيجاد وحدة ثقافية ولغوية واجتماعية ويتحقق ذلك بقيام المجتمع الإسلامى على مبادىء القرآن والسنة وهما الأساسان التى قامت عليهما الدولة الإسلامية قديمًا فتوحدت عقيدة وشريعة ولغة وثقافة وسياسة يقول الشاعر عمر بهاء لأميرى:

قادة العرب هذه فرصة العمر	**وهذا نداء مجد الجدود**
وحدوا العرب بالذى وحد العرب	**قديما من شرعة التوحيد**

ومن مظاهر الوحدة اللغوية والثقافية أن البلاد الأعجمية التى انتشر فيها الإسلام سرعان ما تعرب اللسان الأعجمى وظهر فى هذه البلاد ـ التى كانت أعجمية ـ نوابغ فى سائر العلوم العربية والإسلامية وتراثنا فى علوم القرآن والسنة واللغة حفظه لنا علماء من هذه البلاد أمثال: جار الله الزمخشرى صاحب التفسير المشهور والنسفى صاحب تفسير النسفى الذى كان يدرس لطلاب القسم الثانوى

(1) الوحدة الإسلامية: الشيخ محمد أبو زهر. ص 19.

بالمعاهد الأزهرية والإمام البخارى الذى دوّن الأحاديث النبوية وصحيح البخارى هو من المراجع الأساسية فى الأحاديث النبوية الصحيحة والنسائى صاحب كتاب (سنن النسائى) وابن جرير الطبرى صاحب كتاب (التاريخ المشهور).

والخوارزمى الذى وضع علم الجبر وعبد القاهر الجرجانى الذى ترك لنا تراثًا فى علم البلاغة وسائر العلوم لازلنا ننتفع به حتى الآن والإمام مسلم صاحب (صحيح مسلم) والنيسابورى وسيبويه عالم النحو المشهور وغيرهم كثير.

هذه الكوكبة من أعلام العلماء كانوا من بلاد غير عربية من بلاد تسمى بلاد ما وراء النهر.

ثالثها: العمل على منع النزاع بين الأقاليم الإسلامية.

يتلخص مشروع الجامعة الإسلامية الذى وضعه الشيخ أبو زهرة فى الآتى:

1- تحقيق معنى قوله تعالى: ﴿**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**﴾ وهى تحقيق الأخوة الإسلامية بين الأقاليم الإسلامية، كما هى متحققة بين آحاد المسلمين وهى الأخوة التى تصلح ذات بينهم ولا تمكن من العداوات بينهم ولا تسمح لإقليم إسلامى أن يحارب إقليمًا آخر.

والجامعة الإسلامية لا تعنى الدولة الإسلامية الواحدة.

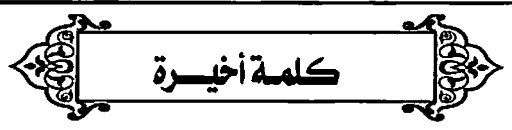
2- الجامعة ضرورة يفرضها القرآن وتمليها الأوضاع السياسية المعاصرة لحماية المسلمين من أعدائهم الذين تكتلوا وتوحدوا ضدهم.

3- الدعوة إلى الجامعة الإسلامية ليست دعوة إلى الدولة الواحدة.

4- تكوين وحدة اقتصادية من كل الأقاليم الإسلامية بحيث يمكن أن يتكون اقتصاد إسلامى منفصل تمام الانفصال عن الاقتصاد الأوربى والأمريكى والروسى حتى نستطيع تنفيذ أحكام ديننا فى النظم الاقتصادية[1].

---

(1) مجلة المسلمون العدد الثانى السنة الثالثة - ربيع الثانى 1373 هـ - ديسمبر 1953 - الجامعة الإسلامية للشيخ محمد أبى زهرة ص15.



كلمة أخيرة

إن الحماس وحده لا تقوم به دولة ولا تنهض به أمه ولا تنجح به دعوة لأن الهبّات الفردية لا تلبث أن تخمد وتتوارى وتأخذ معها أصحابها.

«إن المنبت لا ظهراً أبقى ولا أرضا قطع» إن الذى يعدو بسرعة سوف يسقط فى منتصف الطريق من الإعياء دون أن يبلغ هدفه المنشود لكن الذى يسير بأناة وتؤدة سيبلغ هدفه الذى ينشده دون أن يصيبه شيء وإن طال به المسير نحو تحقيق مطلبه وغايته فالدولة الإسلامية العظمى التى أقام بناءها محمد ﷺ وصحبه الكرام لم تقم بين عشية أو ضحاها إن وراء ذلك رجال صبروا وجاهدوا وكان كل جيل يسلم الراية للجيل الذى يليه حتى وصلت الدولة الإسلامية إلى أقصى درجات الاتساع.

ثم تمزقت الدولة الإسلامية إلى كيانات صغيرة لكن الله الذى تكفل بحفظ دينه أوجد فى هذه الأمة رجالاً يقفون على ثغور الإسلام يحمون بيضته ويعملون على إحياء أمته من هؤلاء الرجال العظام الفقيه القانونى الضليع الدكتور/ عبد الرزاق السنهورى والشيخ محمد أبو زهره إمام الفقه الإسلامى فى القرن العشرين فوضع السنهورى مشروعه لإقامة دولة الخلافة الإسلامية وتبعه الشيخ محمد أبو زهرة فوضع مشروعه بعنوان «الوحدة الإسلامية» قرأت هذين المشروعين وأنا أنهى هذا البحث فوجدت قلمى يسبقنى والمعانى تطاوعنى لإبراز هذين المشروعين لاعلى أنهما عمل فكرى فحسب تتغذى به العقول إنما ليكونا خطة عمل طموحة على طريق الوحدة الإسلامية.

وإننى أناشد أولى الرأى من المفكرين فى العالم الإسلامى كله الذين يتيسر لهم مطالعة هذا البحث وأخاطب أهل الحل والعقد ممن تيسر لى معرفتهم من كبار المفكرين الإسلاميين الدكتور أحمد كمال أبو المجد، الدكتور يوسف القرضاوى، الدكتور محمد سليم العوا، الدكتور توفيق الشاوى، الدكتور زغلول النجار.

الإعلامى المسلم أحمد فراج . السادة رئيس وأعضاء رابطة العالم الإسلامى ، منظمة المؤتمر الإسلامى ، الدكتور محمد عمارة ـ أَمَدَّ الله فى عمرهم ـ وغيرهم ممن لم يتيسر معرفتهم وأناشدهم بحق دينهم وبحق أمتهم الإسلامية وبحق وطنهم أن يقوموا ـ فى ظل شرعية كاملة ـ بالعمل على تبنى مشروع الوحدة الإسلامية وصياغته مستئنسين بالمشروع الذى قدمه الدكتور عبد الرزاق السنهورى وبما كتبه الشيخ محمد أبو زهرة وأن يقدموه لأولى الأمر فى البلاد الإسلامية عسى الله أن يجعل منهم آذانًا صاغية وقلوبًا واعيه أسأل الله لعبده القبول والنفع بما يقول .

المستشار

مصطفى الشقيرى

تم الانتهاء من كتابة هذا البحث عشية

يوم الأربعاء 29 شعبان 1425 هـ - 2004/10/13.



الفهرس